.

# خالد الغريب

## { ملحمة العقل والملكتين }

رواية

أحمد سعد

.

**دار بيوند للنشر والتوزيع**
**٤ ش كمال حسين متفرع من ومبي الهرم**
**٠١٠٩٦٩٠٠٠٠٧**
**Beyond.dbh@gmail.com**
**جميع الأراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها .ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر**

**الكتاب: خالد الغريب ( ملحمة العقل والمملكتين )**
**المؤلف: أحمد سعد**
**الطبعة: الأولى**
**تصنيف الكتاب: رواية**
**تصميم الغلاف: محمد مجاهد**
**التدقيق اللغوي: سكون لخدمات الكتب**
**الإخراج الداخلي: صبرينة غلمي**
**رقم الإيداع: ٢٠١٨ / ٢٣١٩٧**
**الترقيم الدولي: ٢-٦٢-٦٦٤٥-٩٧٧-٩٧٨**

دار (بيوند) للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة
**محمد عز الدين**

المدير العام
**صبرينة غلمي**

مدير التنفيد
**جلال عز الدين**

**+٢ ٠١٠٩٥٦٠٠٠٠٧**

**beyond.dbh@gmail.com**

**www.facebook.com/beyond.PDH**

.

# الأهداء

إهداء إلى جدتى الأمية التى كانت تجعلنا نقرأ الفاتحة كل يوم على من مات من العائلة , لن أنسى ذلك النور على وجهك يوم وفاتك , لن أنسى صلاتك فى محرابك , ترديدك لأيات القران رغم أميتك , لن أنساكى

إلى صديقى الذي تهكم على يوما وهو يقول لن تنجح , لازلت أتذكر نظرتك فى كل خطوة أخطوها , لم أنسى شعورى حينها , لن أنسى

.

أين أنا؟ ما كل هذا الفراغ؟ من أنا؟ ماذا يحدث؟ أشعر بألم شديد في رأسي.
حاولت النهوض فسقطت حاولت مرة أخرى فسقطت، درت برأسي الثقيل يمنة ويسرة فراغ لايوجد حولي إلا ذاك الفراغ الذي تملؤه الرمال وبعض النباتات الصحراوية المغطاة بالأشواك التي تسمى ب.. ب.. يا إلهي لا أتذكر اسمها هو شيء كالصبر ربما صابر أو صبر أو نعم نعم صبار هل أنا أهذي ما علاقتي به أريد تذكر اسمي، وضعت رأسي بين راحتي يدي أبحث في ذاكرتي عن أي شيء يذكرني بأي شيء حاولت النهوض مرة أخرى فنجحت بعض الشيء وقفت أترنح كان المشهد من أعلى لا يختلف عن الأسفل رمال ورمال وهناك رمال أيضا وقفت أصرخ:
- هل من أحد هنا؟ من أنا؟ هل يسمعني أحد؟
سرت بعض الخطوات لا أعي شيئا لا أتذكر شيئا سألت نفسي كيف جئت إلى هنا؟ أين أنا؟ من أنا؟
الإجابه واحدة وقاطعة (لا أعلم)..
نظرت لنفسي وجدتني أرتدي تيشيرت أزرق وبنطالا بنيا وأحتذي حذاء بني اللون يمتد لأعلى كعبي بقليل، دسست يدي في جيبي ها أنا أعثر على شيء إنها ورقة فتحتها سريعًا فوجدت مكتوبا بداخلها (لا تفعل ستكون وحيدًا) أطبقت يدي عليها وأنا أضحك ضحكة رن صداها في الصحراء ثم قلت بسخرية:
- يبدو أنني فعلت فأصبحت وحيدًا يا لي من غبي مالذي فعلته ولماذا فعلته..

.

بدأت في المشي بعشوائية أسلك هذا الاتجاه تارة وهذا تارة أخرى أنظر خلفي فأجدني قطعت مسافة كبيرة فأواصل السير إلى اللا مكان حل الظلام كما حل التعب على جسدي فجلست مكاني أرسم بعض الخطوط على الرمال ثم أمحوها يا لي من بارع في محو الأشياء لا يتطلب الأمر أكثر من أمر بيدي على الرمال فتستوي أمامي واصلت المحو دون أن أرسم شيئا شعرت بالنعاس يغزو رأسي فسلمت له نفسي نمت بسهولة يبدو أنني اعتدت على النوم هنا هل هذا مكاني الذي عشت به طوال سنيني السابقة؟ هل هذا وطني؟ ولكن أي وطن هذا؟!

ضربت الشمس في عيني في اليوم التالي فنظرت للشمس متحديًا إياها لفترة ثم نهضت أواصل السير مشيت ومشيت شعرت بالجوع فتجاهلت هذا الشعور لأنني في الأخير سأهلك هنا لا محالة سيصبح جسدي خير سماد لهذه النباتات وجدتني أردد كلمة بصوت عالٍ (عندما تتحرك متجاوزًا شعورك بالخوف ستشعر بالحرية) وقفت أنظر خلفي لم أجد أحدا أنا من قلت هذه العبارة يبدو كذلك ولكن كيف تذكرتها وما معناها كم أنت غريب يا....

أعتقد أن هذا الوقت المناسب لأطلق على نفسي اسمًا حسنا فليكن، غريب، لا بل وحيد، لا لا سيكون صبار، حقيقة أنا جميعهم سأنادي نفسي بما يحلو لي..

- هل أنتِ سعيدة هنا بمفردك؟ هل مر أي شخص من هنا قبلي؟ هل هذا الشوك يؤذيكِ؟ لماذا لونك أخضر ألا ترين أن اللون الأزرق سيكون أجمل؟ هل تشعرين بأني ثرثار؟ لماذا لم ترد شجرة الصبار عليّ هل هي تمقتني؟ هل تعرفني؟

.

حسنًا أنا أعلم جيدًا أنها لا تتكلم فلم أفقد عقلي بعد، تركتها وواصلت السير يبدو أنني قطعت آلاف الأميال مما يعني أنني اقتربت آلاف الأميال من اللامكان كم أنا سعيد لذلك لا بد وأن أكافئ نفسي ببعض الأشياء غير الموجودة معي جلست على الرمال..

- تفضل يا وحيد هذه الثمرة ملكك الآن..

- شكرًا يا غريب ولكن ماذا ستأكل أنت؟

- لا تقلق يا وحيد معي مثلها بل أكبر منها قليلًا فأنت تعرف كم أنا أناني..

- كفاكم ثرثرة أريد أن أنعم ببعض الهدوء!

- حسنا يا صبار سنصمت ولكن ألا تريد أن تشاركنا في الطعام؟

صمتت لبعض لحظات ثمة شعور غريب انتابني يبدو أنه هذا الشعور الذي تمطر فيه عيناك ماءًا وقلبك ينشز عن دقاته وصدرك... لا بأس سأكف عن الثرثرة سأبكي الآن وحدي.

بكيت كثيرًا كطفل رضيع اشتاق لوالدته ظللت أشهق حتى ظننت أن روحي ستغادر هذا الجسد النافق الهزيل تبلل وجهي من الدموع فانتبهت لشعوري بالعطش الشديد فمددت يدي التقطت زجاجة المياه المثلجة ورفعتها على فمي لم أنزلها إلا فارغة ثم رميت بالزجاجة التي هي غير موجودة من الأساس ثم واصلت السير فليس أمامي إلا التحايل ولكن على من أتحايل على نفسي التي بين جنبي يا لي من غبي..

مر يومان أو ثلاثة أو ربما أربعة صدقوني لا أعلم لم أعد أحصي عددها ولن أهتم حتى لو وصل عددها عدد الرمال إما أن أصل أو أموت وعلى الأرجح سأموت هذا إن كنت رجلًا محظوظًا وهذا غير مرجح بالنسبة لي أما لو لم أكن سيظهر لي أحد الحيوانات المفترسة أو

.

ثعبان ضخم يلتهمني نعم ثعبان مثل هذا الذي أمامي أظن أنها أول مرة أرى فيها ثعبانا ومن حسن حظي ليس إلا أنا وهو في هذا المكان يتقدم نحوي بحركة سريعة وثابتة هرولت بسرعة عكس اتجاهه لم أنظر خلفي خلتني أدور في نفس المكان نظرت خلفي فلم أجده سعدت لأن لم تكن هذه نهايتي وضعت يدي على صدري وهو يصعد ويهبط بسرعة تنفست بصعوبة ولكني واصلت السير فالسير مهمة مسندة آليا من عقلي وينفذها جسدي بكل أمانة كان سراب الماء شيئا اعتدت رؤيته عن بعد فلم أهتم به السماء الصافية من فوقي يتوسطها قرص الشمس الذهبي الذي يعكس أشعته على الرمال الصفراء يا لها من لوحة بديعة ولكن ماليس بديع هو وجهي الذي أصابته بعض الحروق بسبب الشمس الضاربة وبعض الكدمات على قدمي بسبب صعوبة السير في الرمال حسنًا سأعدّل من رأيي.

يا لها من لوحة بديعة لو لم أكن أنا بداخلها..

بعد مرور عدة أيام وبعد السير لآلاف الكيلومترات وعلى مرمى بصري خيّل لي أني أرى بئرًا في السابق كنت أرى سراب ماء أما الآن فأنا أرى البئر نفسه تقدمت ناحيته ثم تمهلت ثم هرولت فوجدته ثابتًا لا يتحرك فأيقنت أنه ليس سرابا جريت باتجاهه فاردًا ذراعي لعله يفعل هو الآخر فيحتضني شربت كثيرًا حتى ارتويت شعرت بألم في بطني هل هذا الماء مسموم هل سأموت بفعل السم حسنًا هذه الميتة لم تخطر ببالي ولا بأس بها من ميتة جلست بجانب البئر أنتظر أن أراه هذا الملاك الذي أتذكر عنه القليل تصورته يظهر أمامي بهيئته الضخمة ولونه الأبيض وجناحيه التي تمتد من المشرق للمغرب يبتسم لي ويقول:

- سقطت ورقتك وأتى أمر الله..

.

ولكن أين ستسقط الورقة هنا في هذه الصحراء هل هذا عدل ماذا فعلت في حياتي لتكون ورقتي هشيمًا تذروها الرياح زال الألم ولكن لم تزل هيئة ملك الموت من أمامي آثرت الجلوس لبعض الوقت حتى أسترد بعضًا من قوتي أو على الأرجح لأشرب كثيرًا من الماء مرة أخرى حل الليل فنمت مكاني بجانب البئر كانت أول ليلة تزورني فيها الأحلام.
رأيتني أقف بجانب امرأة عجوز وابنتها التي تبدو في أوائل الحلقة الثانية من عمرها وثلاثة جنود يرتدون زي جيش ولكن بألوان مختلفه البني والأخضر والأزرق تقدموا ناحية الفتاة يجبرونها على الذهاب معهم بكت الفتاة وهي تنظر إليّ بينما العجوز تصرخ وتستنجد بكل من يمر ولكن لم يستجب أحد تقدمت ناحية أحد الجنود وكان أقربهم إليّ لكمته في صدره ولكن.. ماذا يحدث مرت يدي من خلاله تقدمت فمررت بجسدي منه حتى أصبح جسدي أمام الفتاة مباشرة ويد الجنود تتخللني لتمسك بها حاولت لفت انتباههم ولكني كطيف لا وجود لي لا لست طيفًا صحيح سألت الفتاة فأومأت برأسها وهي تحاول التملص من يد الجنود فجأة تركها الجنود وتركتها العجوز وبقيت أنا وهي فقط..
- هل تعرفيني؟ من أنا؟ لماذا لا يراني أحد؟ لماذا لا يهتم بشأني أحد؟
- ولماذا تهتم أنت بشأن من تركوك؟ ربما كانوا مجبرين على فعل ذلك..
- من أنت؟
- ليس ضروريًا أن تعرف من أنا لكن من الضرورة أن تعرف من أنت جيدا وتؤمن بنفسك..

.

باعدت الأرض بيني وبينها حتى اختفت عن نظري، ها أنا أبدأ يوما جديدا في صحرائي بجانب بئري هل تعلمون ماذا سأفعل الآن؟ لا يحتاج الأمر لكل هذا التفكير سأشرب من البئر.
الآن أنا بين خيارين: الأول أن أترك البئر وأشد رحالي إلى مكان آخر فأكون على شفا الهلاك،.
والثاني أن أظل هنا فيمتد عمري لشهور أخرى أعيش فيها على الماء..
رجحت بعقلي الذي أعلم أنه سيتخلى عني قريبًا أن أعيش بجانب البئر ولا مانع من التجول قليلًا حوله هنا أو هناك.
قمت أنظر للبئر أودعه نصف وداع وداع لساعات فقط سرت للأمام أنظر حولي أتأمل الرمال ماذا لو كان لها صوت كصوت صراصير الحقل لابد وأنها كانت ستصدر أصواتًا يسمعها باقي العالم لكن عندي يقين بأنها تتحدث مع بعضها ينظرون إليّ الآن ويتهكمون عليّ سأتجاهلهم وسأطأهم بقدمي فلهتنئوا بها..
بدأ قرص الشمس ينتصف السماء شعرت بحراره تجتاح جسدي أتنفس بصعوبة يبدو أنني أصبت بدوار الشمس لم أشعر وقتها إلا بوجهي الذي يلامس ذرات الرمل بحرارتها العالية . لكم حق السخرية الآن فلتطئوا رأسي كما تشاؤون بدأت عيني بالانغلاق شيئًا فشيئًا شعرت بصداع شديد كادت رأسي أن تنفجر بسببه جاهدت لأفتح وبعد معاناة درت برأسي يمينا ويسارا فوجدتني في غرفتي فوق سريري أخذت نفسًا عميقًا ثم زفرته بقوة لأخرج كل تلك المشاعر من داخلي حمدت ربي أنه كان مجرد حلم نهضت متجهًا إلى المرآة المعلقة على الحائط المقابل للسرير كان وجهي شاحبًا من المؤكد أن حلم كهذا لابد وأن يترك أثره فوق ملامحي على الأقل لمدة ساعات قادمة نظرت إلى الساعة فوجدتها

.

التاسعة صباحًا بدلت ملابسي سريعًا فاليوم هو يوم مميز بالنسبة لي يوم ظهور نتيجة السنة الأخيرة لي في كلية الحقوق..
فتحت باب الغرفة فوجدت والدتي وهي ربة منزل في أواخر العقد الرابع من عمرها تمسك بأطباق الطعام في يدها وتضعها على المائدة الموضوعة في منتصف الصالة اتجهت إليها وأنا أرسم على وجهي ابتسامة تليق بها وتليق بعودتي من ذلك الحلم على خير..
ـ صباح الخير يا ست الكل..
ـ صباح الخير يا حبيبي تعالى عشان تفطر..
ـ لا معلش أنا مستعجل عاوز أعرف عملت إيه في النتيجة..
ـ ربنا يابني يوفقك ويكتبلك السعادة..
ـ يارب.. أنا حلمت حلم يا أمي...
قاطعتني أمي قائلة:
ـ ربنا يجعله من حظك ونصيبك يا رب.
ـ ليييييه يا ستي التسرع دا هو إنا لسه حكيتلك عن الحلم.. يلا هنزل أنا عشان متأخرش...
خرجت من البناية المتهالكة التي عفا عليها الزمن ليترك على واجهتها تصدعات وتشققات بقدر ما شاهدت وشهدت عليه من حكايات أهل حارتنا..
أنا خالد أحمد عبد التواب انتهيت من السنة الأخيرة كلية الحقوق جامعة القاهرة عمري أربعة وعشرون عامًا متوسط الطول نحيف الجسم أبيض البشرة كل ذلك ورثته عن أمي شعري كثيف شديد السواد كلون عيني أنفي طويل نسبيًا أشبه في ذلك والدي الذي لم أره سوى في بعض الصور القديمة... سألت أمي ذات يوم بعفوية أطفال:

.

ـ ماما هو بابا مات؟
أتذكر وقتها عندما صبت غضبها على المكنسة التي كانت تمسكها بيدها فألقتها أرضا وهي تقول:
ـ إوعى أسمعك تقول كدا تاني أبوك عايش وهيرجع!
وقتها أضفت إلى مذكراتي التي تناسب سني أن أبي لم يمت وسيعود، من وقتها لم يأتِ أبي ولم أمحُ تلك الكلمة من مذكراتي أو بالأصح ذكرياتي وأيضًا لم أسأل أمي مرة ثانية..
بعد حوالي ساعتين كنت قد وصلت أمام مبني كلية الحقوق حيث المكان التي تعلق فيه النتيجة تمهلت قليلا أراقب الوجوه وأنا أقول لنفسي هذا ناجح وهذا لم يحالفه الحظ وكأن النتيجة تتحول من الحائط فتلتصق بتعابير وجوههم، لم أستطع الصبر أكثر من ذلك فدسست جسدي بين الزحام لعلي أصل إلى هناك بفعل التدافع ونحافتي التي دائما ما أعتمد عليها في مثل تلك المواقف وما أكثرها في بلدنا وأخيرًا وصلت إلى الورقة دقات قلبي تتسارع نفسي غير منتظم شعرت وكأني أبحث عن إبرة في كوم من القش كما يقولون وأخيرًا....
خالد أحمد عبد التواب ناجح بتقدير جيد خرجت مسرعًا بينما تتلعثم كلماتي التي لابد أن أقولها لنفسي حسنًا لقد فعلتها لقد زاد عدد المحامين في بلدنا واحدا..
دخلت الحارة أشعر بسلام نفسي كبير أشعر أني أحب الجميع وددت لو أقول لهم كم أني أحبكم حتى عم أبو كبير البلطجي نظرت إليه بابتسامة عريضة بينما يجلس هو على القهوة يمسك بيده الشيشة التي من المؤكد أنها تحتوي على مخدر الحشيش، وقفت أمام البناية للحظات قبل أن أصعد درج البيت بسرعة وكأن شيئًا ما يحملني فيقفز بي من دور للذي

.

يليه وقفت أمام باب شقة خشبي يتوسطه زجاج مغطى بسلك حديدي وضعت يدي في جيبي ثم أخرجت مفتاح وضعته في الباب ثم دلفت مهرولا أنادي:

- أمي أم خالد أنا نجحت واتخرجت بقيت محامي رسمي!

خرجت أمي من المطبخ والدموع تبلل عينيها تطلق الزغاريد هرولت نحوي تحتضنني حتى كادت ضلوعي أن تختلف..

- مبروك يا خالد ألف مبروك يابني..

فجأة سمعت صوت زغاريد تأتي من الخارج تبعه صوت أعرفه جيدًا يقول:

- مبروك يا أستاذ خالد نعمة بنتي أول ما لمحتك على ناصية الحارة صممت نيجي نتطمن على النتيجة..

- الله يبارك فيكي يا أم نعمة..

- مبروك يا خالد..

كانت نعمة هي القائلة فتاة جميلة تحمل على وجهها آثار البيئة المصرية قمحية اللون أنفها دقيق كفمها تغطي رأسها بحجاب أسود اللون أصغر مني بسنتين وطالبة أيضًا في كلية الحقوق ظهرت نتيجتها منذ يومين وكالعادة بتقدير جيد جدا..

- الله يبارك فيكي يا نعمة يلا شدي حيلك انتي كمان عشان تتخرجي كدا وتشتغلي معايا في المكتب اللي هفتحه بعد عمر طويل إن شاء الله..

كانت نظراتي لها ليست عادية نظرات محب تحتضن نظراتها وتحلق بها في سقف تملؤه أحلام كثيرة في مقدمتها أن أنجح في عملي لأتقدم لخطبتها.. لكمتني أمي في كتفي وهي تقول:

- إيه يا خالد مش هتقولهم يتفضلوا ولا هنسيبهم واقفين كدا!

.

ـ طبعا طبعا اتفضلوا يا جماعة..
ردت أم نعمة قائلة وهي تتجه نحو باب الشقة:
ـ لا معلش أصل أبو نعمة زمانه راجع من الشغل هبقا أجيلكم وقت تاني..
أشرت لنعمة بيدي إشارة فهمتها هي ثم رحلت.
أغلقت الباب ثم دلفت إلى غرفتي بعدما دخلت أمي إلى المطبخ وهي تمطرني بدعائها وتؤكد لي فرحتها التي لا أشك بمقدارها في قلبها، أمسكت هاتفي ثم اتصلت بنعمة..
ـ نعمة عاوز أقابلك..
ـ قولتلك مينفعش قبل ما تتقدملي..
ـ يا بنتي النهارده يوم مختلف ودا أول طلب أطلبه منك بعد التخرج..
- قولت لا مينفعش..
- عشان خاطري والله آخر مرة هطلب منك الطلب دا..
ـ خلاص ماشي بس دي أول وآخر مرة هقابلك فيها..
أعطيتها عنوان المكان الذي ستقابلني فيه ثم أغلقت الخط وأنا أشعر بسعادة غامرة تجتاح قلبي وجوارحي وكأن اليوم يوم تحقيق أحلامي..
بعد حوالي ساعتين في وسط حديقة خضراء كنت أجلس بداخل الحديقة أنتظرها أنظر في ساعتي التي تشير للثالثة عصرا ثم أعاود النظر لبوابة الحديقة، انفرجت أساريري عندما رأيتها قادمة تمشي بخجل تتلفت حولها كم أحببت خجلها الذي يضفي إليها جمالًا فوق جمالها ابتسمت ابتسامة المنتصر وأنا أسير نحوها..
- نعمة أخيرا وافقتي تقابليني..
- آه بس متتعودش على كدا..

.

- وحشتيني..
- خالد بلاش الكلام دا أرجوك..
- كلام إيه بقولك وحشتيني هو أنا شتمتك وبعدين كلها كام شهر وأتقدملك..
- ساعتها ابقا قول الكلام دا.. ها قولي بقا ناوي تعمل إيه؟
قالتها وهي تجلس أسفل شجرة فجلست بجانبها:
- ناوي أدور على أي مكتب أنزل فيه تدريب..
- برضه مش عاوز تقدم عشان تبقا وكيل نيابة؟!
- مانتي عارفة مابحبش الجو دا عاوز أبقى حر..
- ربنا يوفقك يا رب وأشوفك أكبر محامي في الدنيا..
مددت يدي في جيبي ثم أخرجت ساعة يد كنت قد اشتريتها مسبقا لتلك المناسبة توردت وجنتاها ثم قالت بابتسامة تعلو شفتيها:
- دي عشاني؟
- أيوة طبعا بمناسبة أول مقابلة بينا هاتي إيدك..
مدت يدها فوضعت الساعة في يدها ثم قلت مازحا:
- نعمة انتو طابخين إيه النهارده؟
ردت بفرحة كبيرة:
- إيه هتيجي لبابا النهارده؟؟
- لا يا حبيبتي بس ابقي اغسلي إيدك..
نظرت إلى يديها بخجل ثم قالت:
- إيدي مالها بقا إيدي دا انت كنت بتتمنى بس تشوفني معدية في الشارع!
- نعمة إيه دا إيه الصوت دا انتي بتتحولي يا بنتي ولا إيه!

.

- ما انت اللي عصبتني وخرجتني عن شعوري.. آسفة المهم بقا..
- لا مهم إيه بقا وربنا لنمشي..
- استنى يا خالد مقصدش والله أزعلك..
- تزعليني؟؟ انتي فضحتيني في وسط الحديقة اللي بحبها يلا امشي قدامي..

قامت نعمة فضحكت على تعابير وجهها الغاضبة التي لا تليق بوجهها الطفولي، مشينا وسط الزحام وأصوات السيارات وصراخ السائقين وكأننا نقول لأنفسنا لا يهم فليصرخ من يصرخ وليصمت من يصمت لن نلتفت اليوم لأي شيء فلتطغَ فرحتنا على أعماقنا وتعلو وجوهنا الابتسامة نحن اليوم بخير بكل خير، ودعتها عند مدخل الشارع المؤدي إلى حارتنا ثم أبطأت من خطوتي قليلا لتكون أمام عيني تمنيت لو كنت شاعرا لأصف مشيتها، لباسها الواسع كأنه الدنيا تحوي خيرا دون أن يمسسه شر، سكونها الذي يليق بها في زحمة الطرقات، ودعتني بنظرة أخيرة قبل أن تدلف إلى البناية فأكملت طريقي مسترشدا فيه بنظرتها فتحت باب الشقة فلم أجد أمي بالصالة نظرت من أسفل الباب فكانت الغرفة معتمة فعلمت أنها قد خلدت للنوم، دلفت إلى غرفتي ثم ارتميت فوق سريري فجأة شعرت بصداع شديد يغزو رأسي لم أستطع تحمله فتحت عيني فآذاني ضوء النهار ولون السماء نظرت حولي فوجدت الرمال تحيط بي من كل مكان نهضت من مكاني وأنا أصرخ:

- ماذا يحدث؟ حسنا سأصفح لكِ هل تعلمين لماذا أيتها الصحراء؟ لأنني مازلت بجانب البئر وسأخبرك أمرا آخر اسمي خ.. خ... لقد نسيت لا بأس يمكنك أن تدعينني بالغريب سأذهب الآن لأتجول قليلا..

.

بدأت في السير تغوص قدمي في الرمال ولا أبالي نظرت على مد بصري فوجدت شجرة بعيدة فاتجهت إليها وأنا أبتسم قائلا:
- كيف نبتّي هل تمتد جذورك إلى البئر؟ هل يمكنك الاقتراب قليلا منه؟ أنا غريب هنا، من أخذ ثمارك لا تنظري إليّ هكذا لم أفعل، أنا حتى لا أعرف أي ثمر تثمرين؟ لا تصدقينني حسنا سأذهب الآن..
سرت باتجاه البئر وأنا أردد في نفسي أنا مجنون نعم أنا كذلك جلست مستندا بظهري على جدار البئر فوجدت تلك الفتاة التي كانت تحت أسر الجنود تهرول نحوي فنهضت مسرعا متسائلا:
- ماذا حدث؟
قالت وهي تضع يدها على صدرها الذي يصعد ويهبط بسرعة:
- لقد هربت منهم..!
- كيف فعلتِ وأين العجوز التي كانت معكِ؟
- لا أعلم هم يتبعونني عليّ أن أختبئ!
نظرت حولي ثم قلت متهكما:
- أظن أن تلك الجملة تنعتك الآن بالغباء لقد تفوقتِ عليّ في ذلك..
كان نظرها مثبتا ناحية البئر دون أن تنبس بكلمة فتراجعت خطوتين ناحيته قائلا:
- أتمنى ألا تكون تلك النظرة ناتجة عن قرار غبي أيضا..
أشارت ناحيته وهي تقول:
- سأختبئ بالداخل ليس أمامي سوى ذلك..
- وأنا ليس لدي غيره لأكون على قيد الحياة!
سمعنا صوت جلبة تأتي من بعيد فهرولت ناحية البئر تقدم الجنود ناحيتي ثلاثة جنود كل منهم يحمل بندقية يرفعها لأعلى قال أحدهم:

.

- هل رأيت فتاة مرت من هنا؟
- من أين هنا أم هنا؟
رفع الجندي البندقية بوجهي وهو يصرخ قائلا:
- هيا لا وقت لدينا!
- حسنا اهدأ. أنا لم أرَ سوى شجرة هناك، نصيحة لا تذهب إليها فقد سرق أحد ثمارها وهذا البئر فقط..
قال جندي آخر:
- أيها القائد ما رأيك أن نروي عطشنا قبل أن نتابع البحث؟
فقلت بسرعة:
- هل تقصدون فتاة رفيعة بيضاء ترتدي زيا أبيض؟
- نعم هل رأيتها؟؟
- نعم رأيتها تجري من هذا الاتجاه أسرعوا!
هرولوا مبتعدين فنظرت باتجاه البئر ثم قلت:
- لقد رحلوا.
رفعت رأسها ببطء فمددت لها يدي وأنا أرسم ابتسامة خفيفة على وجهي فخرجت ثم جلست بجانبي وشرعت بالبكاء..
- لماذا تبكين لقد رحلوا..
- أنا تائهة لا أعلم مصيري..!
لماذا لا تعودين إلى ديارك؟
- دياري؟ أي ديار؟ لقد استضعفونا ونهبوا وسرقوا وتكبروا دون أن يتدخل أحد كنا أقوياء ثم تفرقنا فضعفنا..
- من فضلك كفي عن البكاء.
مسحت دموعها بظهر يدها ثم قالت:

.

- لماذا لم تعد إلى أهلك؟
- لا أعلم من أنا أنا ضللت نفسي قبل أن أضل الطريق..
- لا أنت لم تضل طريقك أنت لا تريد أن تجده..
- ماذا تعنين؟
- يا صديقي عليك أن تمحو النقاط السوداء بداخلك قبل أن تتسع فتظلم روحك، طريقك موجود ولكن عتمته تسببت في عماك..
- لا أفهمك!
- ولن تفهم فقط سأكرر ما قلته من رحل عنك لم يرحل باختياره لا تظلمهم وتظلم نفسك لا تقف هنا وأكمل طريقك..

فجأة نهضت من مكانها وهرولت فقلت لها:

- هل سنتقابل مرة أخرى؟
- لا أتمنى ولكن أعتقد فالظلام يتسع أراه بعيني عليك أن توقفه أيها الغريب.. من فضلك أوقفه..

شعرت بخبطة أتتني من الخلف أسفل رأسي فغبت عن الوعي لمدة لا أعلمها فتحت عيني على صوت رنين هاتفي كانت الساعة تشير للسابعه صباحًا جلست على سريري أغمض عيني عدة مرات وأفتحها وكلماتها ما تزال تتردد في أذني (الظلام يشتد من فضلك أوقفه) قلت في نفسي:

- ظلام إيه اللي بيشتد، أكيد دا مستقبلي ربنا يستر..

نهضت من مكاني، بدلت ملابسي ثم خرجت وفي يدي بعض الأوراق التي تثبت أني شخص عاقل وخريج كلية الحقوق وليس لدي عمل هذا هو الجزء الحقيقي أما الجزء الآخر والذي أقول فيه أنني شخص غير عادي بل وأستطيع القيام بأي عمل حتى لو كان خارقا وتحمل العمل

.

تحت ضغط والتحلي بروح الجماعة.. كانت والدتي تقف في المطبخ توجهت إليها قائلا:
- صباح الخير يا أمي..
- صباح النور يا حبيبي ربنا يابني يفتح في وشك الأبواب المقفولة..
- يارب ادعيلي ألاقي شغل في مكتب كويس..
- دعيالك والله يابني من كل قلبي..
- ربنا يخليكي ليا يلا هنزل أنا عشان متأخرش وهبقا آكل أي حاجة برة..
- طيب يا حبيبي خلي بالك من نفسك عاوز فلوس ولا حاجة؟
- لا لا معايا سلام..
في الحقيقة لم يكن معي نقود وأمي كذلك حالتنا المادية صعبة جدًا بعدما رحل أبي لمكان لا أعلمه لم يكن لدينا دخل سوى بعض الملابس التي تحيكها أمي وتبيعها لصديقاتها من الجيران خرجت من البناية فوجدت نعمة تقف في شباك غرفتها تنظر إلى فنظرت إليها مشيرًا لها بأن تدخل فدخلت على الفور اتجهت إلى مكتب معروف في وسط البلد مكتب دكتور "متولي عتيق" في إحدى البنايات الضخمة بمدينة نصر بالتحديد في الدور الثالث دخلت إلى المصعد وضغطت الزر الذي يحمل رقم ثلاثة ونبضات قلبي تتسارع كنت أشعر بالقلق الشديد تجاه هذه المقابلة توقف المصعد فخرجت منه فورًا ضاربًا بكل مخاوفي عرض الحائط وقفت أمام باب المكتب أهندم ملابسي ثم دخلت كان المكتب مكون من صالة بها مكتب تجلس خلفه فتاة تبدو في العشرين من عمرها وغرفتين على اليسار وغرفة على اليمين المكتب على مستوى عالٍ من الفخامة

.

تزين حوائطه بعض اللوحات التي تبدو لجاهل بالأمر مثلي أنها بلا قيمة.

- السلام عليكم أستاذ متولي موجود؟

- آه الدكتور موجود في ميعاد؟

- لا بصراحة أنا جاي أدور على شغل.

- طيب اتفضل استريح.

دخلت إلى الغرفة الموجودة على اليمين ودقات قلبي تتناغم مع صوت دقات حذائها على الأرض ظلت بالداخل لدقائق ثم خرجت قائلة:

- اتفضل أقنعت الدكتور إنه يقابلك مع إنه مش فاضي.

- متشكر جدًا والله.

- والله؟

- آه والله.

- طيب اتفضل وحاول متبقاش مرتبك كدا عشان الدكتور بيحب الناس الواثقة من نفسها.

- حاضر حاضر.

طرقت الباب فسمعت صوتًا يأتي من الداخل.. - ادخل.

دخلت وأنا أنظر في الأرض.

- اسمك إيه؟

رفعت نظري باتجاه الدكتور كان رجلًا سمينًا بعض الشيء تميل بشرته للسمار يغزو الشعر الأبيض رأسه دقيق الأنف كثيف الشارب، رددت وأنا أحاول تنفيذ وصية تلك الفتاة:

- خالد أحمد عبد التواب.

- أهلا بيك قالتلي هند إنك عاوزني في حاجة مهمة اتفضل.

.

- هند مين.. آه هند، أنا عاوز أشتغل.
- انت معاك خبرة؟
- لا أنا خريج السنادي.
- ترتيب عالدفعة؟
- لا تقديري جيد.
- ليه اخترت المكتب بتاعي بالذات؟
- عشان سمعة حضرتك الكويسة ليا الشرف إني أكون شغال تحت إيد حضرتك.

لاحظت ابتسامته التي حاول إخفاءها ففهمت أنه من ذلك الذين يحبون المديح.

- طيب لو اشتغلت هنا شايف في نفسك إيه مختلف عن أي حد وشايف نفسك فين بعد خمس سنين؟
- أنا مش مختلف بس وجودي مع حضرتك يكفي لأني أكون مختلف عن أي حد.. أما بعد خمس سنين هكون مكان حضرتك عالكرسي دا.
- نعم مكان مين.. انت يابني حافظ مش فاهم دا مكتبي هتكون مكاني ازاي يعني هتشتري المكتب ولا هتورثني؟!
- لا يا فندم مقصدش.
- طيب سيب رقمك برة وهنبقا نكلمك.

علمت بأنني أغضبته بردي هذا ولكن فعلا أنا أحفظ تلك الجملة ولا أعلم لماذا يصرون عليها ولماذ خمس سنوات ولماذا أرى نفسي من الأساس.

خرجت بعدما تركت رقمي مع هند السكرتيرة وأنا على يقين بأنها آخر مره أدخل فيها هذا المكان، قضيت يومي بين المكاتب وجميعهم طلبوا مني أن أترك رقمي، تملكني الإحباط واصلت السير وأنا أفكر في

.

مستقبلي الذي أقف الآن على أعتابه فيبدو لي مظلما لا ملامح له ولا ثمة شعاع حتى أصبر نفسي به بعد ساعات من السير وصلت إلى حارتنا دائمة الازدحام خصوصًا في هذا الوقت من النهار كنت شاردًا على عكس البارحة تمامًا أشاهد من حولي وكأنها رسوم متحركة هذا محل بقالة ملك عم حنفي بجانبه قهوة صغيرة ملك المعلم صابر كامل مكتظة بالشباب الجالسين دون عمل فهل سيئول بي الحال للجلوس بينهم سمعت صوت جلبة تأتي من الجانب الآخر بالتحديد من داخل محل الخضروات ملك الحاجة سامية كانت كعادتها تصرخ في وجه أحد البائعين الذي قد لعب الشيطان برأسه وفكر في دخول الحارة بعربة بضاعته وكادت أن تفصل رأس الحمار الذي يجر العربة عن جسده لولا هروب الرجل بالحمار.

- بتجري مني طيب لو راجل خطي برجلك الحارة تاني.

قالتها الحاجة سامية وهي تلوح بيدها في الهواء ممسكة بالسكين الخاصة بتقطيع الموز.

توجهت بعيني إلى صالون الحلاقة الذي يقف فيه محمود مقص الحائز على جائزة أفضل قصة في الحارة لهذه السنة رغم عدم وجود صالون غيره في الحارة ورغم أنه لا يتقن فن الحلاقة من الأساس.

- إيه يا أستاذ خالد واقف كدا ليه ما تيجي أما أظبطلك شعرك.

أشرت له بيدي وأنا أقف في وسط الحارة أنظر إلى تفاصيلها بيوتها المنهكه وطرقها الصامدة وشبابها المستسلم وشيبها الذي يعافر من أجل البقاء هل مصيري سيكون مثل هؤلاء الأشخاص هل هذا مكاني الذي أستحقه لم لا وأنا أشد فقرًا من كثير منهم توجهت إلى البيت أصعد درج البيت وأنا أشعر بكل المشاعر إلا السعادة والأمل.

.

دخلت الشقة فجرت والدتي باتجاهي تتساءل بكل تعابير وجهها:
- عملت إيه يابني طمني؟
- مفيش لفيت على شوية مكاتب كدا وبكرة هكمل إن شاء الله.
- متقلقش يابني ولا تزعل نفسك هتتعدل إن شاء الله.
- إن شاء الله هدخل أنام شوية عشان تعبان.
- لا الغدا جاهز اتغدى وبعد كدا نام.
- مش جعان والله يا أمي.
دلفت إلى غرفتي بدلت ملابسي ثم مددت على سريري لا أعلم متى غلبني النعاس ولكني استيقظت بعد ساعات لا أعرف عددها كنت أشعر باختناق فاتجهت لشرفتي أجلس بها قليلًا أخرجت سيجارة ثم أشعلتها لعل دخانها يكون قادرا على التخفيف من الاختناق كان الهدوء قد عم أرجاء الحارة إلا تلك الأصوات الآتية من قهوة عم صابر التي لا تغلق أبوابها إلا مع طلوع الفجر شد انتباهي صوت جلبة تأتي من اتجاه دكان الحاجة سامية كان الظلام يطغى على المكان ولكني استطعت معرفة ذلك الشخص الذي يتسلل بهدوء إلى داخل المحل كان عامر أحد الشباب العاطلين في الحارة لم أهتم كثيرًا فعدت إلى غرفتي لأتمدد على سريري بصحبة كتابي الذي اشتريته منذ أيام من سور الأزبكية عدما شد اسمه انتباهي (من حرك قطعة الجبن الخاصة بي؟).
سهرت مع هذا الكتاب إلى أن انتهيت منه شعرت بأن بداخلي طاقة كبيرة كانت كافية لأن أعود للنوم بكل أريحية.
في الصباح بدلت ملابسي في نفس موعد اليوم السابق متجهًا إلى نفس المكتب دكتور متولي عتيق بعدما سألتني أمي فأجبتها بأن معي نقود كافية وقفت أمام هند السكرتيرة، لكن هذه المرة دون أي توتر بداخلي.

.

- السلام عليكم دكتور متولي وصل؟
- أهلا أستاذ خالد اه موجود هو اتصل بحضرتك؟
- لا والله يا هند بس تليفوني مقفول طول الليل فخوفت يكون اتصل بيا وزعل ولا حاجة.
- لا ماعتقدش لأن أنا اللي هتصل بيك لو في شغل.
- بجد؟ طيب من فضلك ادخلي قوليله خالد عاوز يقابلك.
- حاضر ثواني.

لم أنتظر حتى يرفض الدكتور متولي مقابلتي ما إن فتحت باب المكتب حتى دخلت خلفها.

- السلام عليكم ازيك يا دكتور؟

وفي وسط دهشة هند من فعلتي ونظرة الدكتور القاسية التي يتوعد بها هند قال:

- عليكم السلام مش انت اللي كنت هنا امبارح؟
- بالظبط يا دكتور ما شاء الله ذاكرة حضرتك رائعة.
- عاوز إيه مش قولنا هنكلمك لو احتاجنا.
- حصل بس جيت أتأكد إن مفيش حد اترفد امبارح.
- لا مفيش حد اترفد.
- تمام السلام عليكم.

خرجت من المكتب ومنه إلى آخر حتى دقت الساعة الثالثة فعدت أدراجي إلى الحارة لاحظت وجود تجمع أمام محل الحاجة سامية أمسكت بذراع محمود مقص الحلاق متسائلًا:

- هو في إيه يا محمود؟

.

- شوفت اللي حصل يا أستاذ خالد محل الحاجة سامية اتسرق وباينها اتجننت وعمالة تشتم في الحارة واحد واحد بس الحمد لله عارفة إني محترم ومشتمتنيش..

قاطعت كلامنا الحاجة سامية تصرخ بكل قوتها:

- وانت يا محمود يا عرة الحلاقين واقف تتفرج وساكت بدل ما تدور على اللي سرقني!

فقلت بنبرة ضاحكة:

- الحق شتمتك.

وقفت أنظر إلى الحاجة سامية أشاور عقلي هل أذهب وأخبرها بما رأيت أم أصعد إلى شقتي بسلام فأنا عندي ما يكفيني من التعب والإرهاق ثم إني لا أضمن رد فعل امرأة ثائرة كالبركان المنفجر حديثًا آثرت ألا أذهب وأن أساعدها فالمال المسروق هو قوت أولادها.. بعد فترة من التفكير لممت شتات عقلي وبقايا نبضات قلبي وتحركت أشق صفوف البشر التي حالت بيني وبينها ما إن وقفت أمامها حتى رفعت عينها في عيني فتأكدت من نظرتها المنكسرة بأن قراري صحيح نزلت مستندًا على ركبتي وهمست بأذنها:

- أنا عارف مين اللي سرق بس تعالي نتكلم في المحل.

أومأت برأسها قبولًا لكلامي ثم مدت يدها فأمسكت بها أساعدها على النهوض وسرت معها يدًا بيد حتى دخلنا إلى المحل حاولت أن أبدأ كلامي بمداعبة لأخفف من وطأة الحديث.

- هو العنب دا بناتي يا عمة سامية أصلي حاسس إنه مسترجل كدا.

- لا بناتي والله يا أستاذ خالد لك مني اتنين كيلو هدية بس قولي مين اللي سرق الإيراد قولي الله لا يسيئك.

.

- طيب يا ست الكل اسمعيني أنا زي ما قولتلك عارف مين اللى سرق وهقولك عليه بس بشرط محدش يعرف هو مين عشان الفضايح.
- تحت أمرك يا أستاذ خالد.
- الأمر لله اللي سرق هو الواد عامر اللي بيقعد على قهوة المعلم صابر و...
قبل أن أنتهي من كلامي كانت قد خطت بضع خطوات خارج المحل لا أعلم من أين أتت بتلك الصحة تصرخ بكل قوتها:
- يا ناس اشهدوا عامر البطال هو اللي سرقني والله ما هسيبه عاجبك كدا اللمامة اللي بتجيبهالنا دي يا صابر والله لأشرب من دمه.
خرجت من المحل محتذيًا سور البناية أحاول تفادي نظرات الجميع صعدت فوجدت والدتي تنتظرني أمام باب الشقة.
- عامر هو اللي سرق؟ عرفت ازاي يا خالد؟
- شوفته بالليل وهو بيدخل المحل عاجبك الفضايح دي والله ما شاري من عندها حاجة تاني.
ضحكت ضحكة عالية وهي تقول:
- معلش انت عارف الحاجة سامية اللي في قلبها على لسانها.
- قلب مين يا أمي دا الكلام كان لسه مدخلش ودنها صحيح خير تعمل شر تلقى.
- المهم طمني عملت إيه النهارده؟
- نفس امبارح بالظبط.. هدخل أنام.
دخلت إلى غرفتي ثم ألقيت نظرة من الشباك على الحارة فوجدت الأمور قد هدأت نسبيا إلا من صوت المذياع في قهوة المعلم صابر والحاجة سامية في محلها بدلت ملابسي ثم تمددت على سريري أرتدي

.

ذلك القناع الأزرق الذي نرتديه فنرتدي معه ثوب الحكمة والأدب والرضا ننتفض عندما يحدث شيئًا لبلدنا فنبدل صورتنا الشخصية هذا أقصى ما نفعله عالم يعد افتراضيا ولكن الحقيقة أن حياتنا هي ما أصبحت افتراضية نختلس منه ساعات للعودة إليها الجاهل في زمننا ليس الأمي أو غير العالم بأمور دينه بل الجاهل هو من لم يدخل هذا العالم وأي عالم هذا فيه الابتسامة عبارة عن ضغطة زر والود عبارة عن تفاعل ولكي نثبت عدم جاهليتنا قبل أن نجلس في مكان علينا أن نعرف أولا كلمة سر الإنترنت الهوائي بعض النظر عن أي شيء آخر في هذا المكان.

أشعر بالملل كلما دخلت هذا العالم ولكن هناك من يخفف من حدة هذا الملل كانت نعمة التي تراسلني دائمًا وها هو هاتفي يعلن عن وصول رسالة منها.

- طمني عملت إيه النهارده؟

- ولا حاجة لفيت بس مفيش جديد.

- انت عرفت منين إن عامر هو اللي سرق؟

- فيه إيه يا جماعة ليه محسسني إني عرفت سر انشطار الذرة النووية... شوفته امبارح بالليل وهو بيدخل المحل وبعدين انتي إيه اللي خرجك البلكونة مش قولت قبل كدا مفيش وقفة في البلكونة ولا الشباك؟

- عادي يا خالد ما أهل الحارة كلهم كانوا واقفين وبعدين أنا كنت لابسة الحجاب.

- طيب ماشي أنا هنام عشان تعبان شوية سلام.

- سلام.

.

في صباح اليوم التالي وفي تمام الساعة التاسعه كنت قد وصلت لمكتب الدكتور متولي لم تكن هند موجودة يبدو أنها لم تصل بعد ترددت قليلًا قبل أن أطرق باب مكتب الدكتور فرد عليّ من الداخل.

- ادخل.

دخلت فوجدته يجلس خلف مكتبه منهمكًا في بعض الأوراق المبعثرة أمامه ثم قال دون أن ينظر إليّ:

- اعمليلي فنجان قهوة بسرعة يا هند.

رجعت للخلف خطوتين ثم أغلقت باب المكتب أبحث عن المطبخ فوجدته في آخر الممر أشعلت النار ووضعت به مقدارا مناسبا من القهوة وبعدما انتهيت من إعداده تذكرت أني نسيت أن أضع السكر ولكني كنت قد طرقت الباب فدخلت أحاول أن أخبئ ارتباكي ووضعت الفنجان أمامه رفع نظره إليّ فتبدلت قسمات وجهه سريعًا فزم جبهته وهو يقول:

- إيه دا انت اللي عملت القهوة؟!

- أيوة يا دكتور أنا دخلت لحضرتك عشان أسألك لو حد غايب النهارده أو حد ساب الشغل فطلبت القهوة فعملتها لأن هند لسه مجتش.

نظر الدكتور في عيني مليًا ثم أمسك بكوب القهوة وارتشف منه ثم وضعه أمامه قائلًا:

- وعرفت منين إني بحبها سادة؟

أخرجت نفسا عميقا وكأنه كان حبيسا بداخلي لسنوات ثم قلت بثقة:

- شخصية زي شخصية حضرتك القوية الجادة دي أكيد بتشرب القهوة سادة.

.

ضغط الدكتور على شفته السفلى قليلًا وهو ينظر نحوي نظرة لن أنساها ثم خلع نظارته ووضعها أمامه قائلًا:
- شكلك ذكي وعندك إصرار وأنا بحب النوعية دي من الشباب تعرف انت بتفكرني بمين؟
- اه بنفسك وانت صغير صح؟
- بنفسي لا أنا مكنتش أهبل وأنا صغير اسمع هتروح المكتب اللي على يمينك وانت داخل الطرقة هتلاقي الأستاذ مجدي هناك ناديله وتعالى.
- تحت أمرك يا دكتور.
هرولت إلى المكتب فوجدت رجلا يجلس خلف مكتبه نحيل الجسم أصلع الراس أبيض البشرة يبدو في منتصف العقد الخامس من عمره محني الظهر يرتدي نظارة طبية ويغوص بها في أوراق كثيرة مبعثرة على مكتبة فسألته بهدوء:
- حضرتك الأستاذ مجدي؟
- أيوة تحت أمرك؟
- الدكتور عاوز حضرتك في مكتبه.
وقف بسرعة متسائلًا بارتباك:
- الدكتور هو وصل؟
- ياه من بدري.
- بجد.. استنى انت مين.
- هنفضل نتكلم هنا والدكتور مستنينا؟
- أيوة صح عندك حق.

.

دخلنا مكتب الدكتور فوقف الأستاذ مجدي بانتباه كأنه يقف أمام قائد كتيبة في الجيش فرفع الدكتور رأسه وقد خطف نظرة سريعة باتجاهنا ثم وضعها مرة أخرى في الأوراق التي أمامه وهو يقول:

- الولد دا هيبقا معانا من بكرة لمدة شهر تحت التدريب هو هيبقا تحت إيدك شوفه لو مناسب هيبقا معانا لو مش كويس هيمشي وخلي بالك لأن عنده حتة هبل كدا.

- تحت أمر حضرتك يا دكتور أستأذنك.

- اتفضل.

خرج الأستاذ مجدي فتبعته وأنا أشعر بسعادة لم أشعر بها من قبل لوكان الحظ رجلًا لقبلته، أشكر السكر الذي اختفى عند تحضيري القهوة وأشكر الدكتور إبراهيم الفقي رحمه الله على هذه الحيلة التي سمعتها منه في إحدى المحاضرات على الإنترنت يحكي فيها أنه ذهب لصاحب فندق كل يوم يسأله عن عمل حتى حصل عليه نزلت إلى الشارع وأنا ممنون لكل شيء أخرجت الهاتف من جيبي واتصلت بنعمة.

- السلام عليكم ازيك يا نعمة؟

- عليكم السلام طمني صوتك بيقول إنك لقيت شغل.

- وأي شغل يا بنتي عند الدكتور متولي عتيق بنفسه.

- بجد الدكتور متولي ازاي دا؟!

- يا بنتي هو أنا قليل دا فضل يقولي عاوزك معايا وأنا أقوله هفكر يقولي لا من غير تفكير فقولت بلاش أكسفه بقا.

- كداب أوي بس مبروك والله هموت من الفرحة.

- يلا سلام بقا أما أكلم أمي أفرحها.

- سلام.

.

طلبت رقم والدتي فإذا بالزائرة غير المرغوب بها إطلاقًا في هذا الوقت تعلن عن نفاذ رصيدي لن أخفيكم سرًا هذه أول مرة أكف عن سبها وضعت الهاتف في جيبي وترجلت عائدًا أحمل الخبر الذي انتظرت أمي سماعه بفارغ الصبر فهي تريد أن تراني ذا أهمية وأنا أريد أن يكون معي مال لأعفيها من جلوسها أمام ماكينة الخياطة لأكثر من ست ساعات يوميًا وقفت على ناصية الشارع المؤدي إلى الحارة أشم رائحتها تملأ صدري ودفئها يتغلغل إلى حواسي ولأول مرة أسمع هذه الضوضاء كلحن يعزف فرحًا فتساعده نبضات قلبي بسيمفونيات النشوة أنظر لمبانيها المتوسطة الارتفاع وأناسها الكادحين لأول مرة ألاحظ ابتسامتهم الراضية التي تضفي لهم شيئًا من الشكر دخلت إلى البناية أرتب كلماتي التي سأخبر بها أمي بأنني حصلت على وظيفة.

- أمي أنا اشتغلت لا لا أمي أنا النهارده بقيت محامي رسمي لا برضه أمي أنا اشتغلت في أكبر مكتب محامي...

قطعت حبل أفكاري زغاريد أمي التي تقف أمام باب الشقه فصعدت الدرج بسرعة فاستقبلتني بعناقها الدافئ.

- ألف مبروك يا باشمحامي.

- الله يبارك فيكي يا ست الكل انتي عرفتي إن أنا اشتغلت؟

- طبعا نعمة طلعت أجدع منك وأول ما كلمتها جت قالتلي على طول.

- نعمة.. طيب تعالي ندخل بقا ولا هنفضل هنا.

دخلت أنا وأمي فوجدت نعمة تقف في الصالة بابتسامتها الجميلة ويا لها من مكافئة تلك الابتسامة وكأنها سماء تنشق عن نجوم مرصوصة بداخلها ترتسم بهدوء لتخبرك أن كل شيء سيكون بخير قالت أمي وهي تضغط على مخارج ألفاظها:

.

- هدخل أنا بقا أحضر الغدا عشان نعمة هتتغدى معانا.
تركتنا أمي ودخلت إلى المطبخ بينما تقف كما هي تنظر إليّ،
- تعالي يا نعمة أما أقولك.
- نعم.
- تعالي بس هقولك قربي.
تقدمت نعمة خطوتين باتجاهي كما فعلت أنا.
- هو أنا يا نعمة مينفعش أقولك على سر أبدًا.
- ليه بس يا خالد أنا قولت أفرح ماما بس.
- ماما؟ لا دا انتي بتدبسيني بقا.
- بدبسك؟ ماشي يا خالد شكرًا.
- يا بنتي بهزر أنا أطول إنك تدبسيني أصلا.
ضحكت نعمة ففعلت أنا أيضًا أشعر برغبة ملحة في العناق فطردت هذه الفكرة من رأسي سريعًا قبل أن أقول.
- تعرفي يا نعمة مين أول حد افتكرت أجيبله هدية أول ما اتقبلت في الشغل.
نظرت نعمة إلى الكيس الذي بيدي ثم قالت بخجل:
- مين يا خالد؟
- أمي، هو أنا كل يوم هجيبلك هدية.
- كدا يا خالد.
- بقولك إيه ادخلي ساعدي أمي وأنا هحصلكم.
دلفت إلى غرفتي ثم بدلت ملابسي سريعًا و خرجت أساعد أمي في المطبخ أو لأكون بجانب نعمة إن صح القول مر اليوم سريعًا فاستأذنت نعمة وجلست أنا وأمي بعدما أعطيتها الهدية والتي كانت عبارة عن

.

نظارة طبية تساعدها على رؤية إبرة الماكينة بوضوح بعدما اخترقت يدها مئات المرات شعرت بسعادتها الداخلية ولكنها قالت بعتاب مصطنع:

ـ مكانش ليها لازمة يابني كنت وفر فلوسها لحاجة تنفعك.

لم ألقِ لحديثها بالا فما ينفعني أكثر من أن أشعر بسعادتها وهي من ضحت وتضحي وستضحي لأجلي الأمومة شيء غريب شعور لا أفهمه كيف لشخص أن يفني سنين عمره لأجل شخص آخر وهو يعلم أنه سيتركه يومًا ليعيش ويحب شخصا آخر من أين لها بكل تلك القوة لتتحمل أن تراني أهرول في البيت فرحًا عندما تشتري هي لي ملابس جديدة بينما هي لم تبتَغْ أو تحيك لنفسها منذ سنين وعلى ذلك أرى الفرحة تغمر وجهها لفرحتي في تلك الليلة جلست بجانبها أحدثها عن طموحاتي ومستقبلي ما أجمل الحديث في الأحلام أشياء لا نملكها لذلك يمكننا أن نتحدث كما نشاء لا يعيقنا شيء أستطيع أن أحلم بأني سأكون ثريًا أو مشهورًا أو الاثنين معًا دقت الساعة الحادية عشرة قبل منتصف الليل فدخلت إلى غرفتي ارتميت فوق سريري بانتظار اليوم التالي استيقظت على صوت جلبة تأتي من خارج الغرفة التي أنام بها لا أعرف ما الذي جاء بي إلى هنا مسحت وجهي بيدي ثم قمت من مكاني فتحت باب الغرفة ببطء فلمحت امرأة تبدو في أوائل الثلاثين من عمرها تقف بمنتصف الصالة تقول بعصبية لطفل يبدو في السابعة من عمره رفيع الجسم أبيض البشرة يمسك بيده كرة وفي عينيه نظرة تحدٍّ:

ـ أبوك قال مفيش لعب في الشارع إلا بعد الامتحانات.

ـ ياماما أنا أصحابي مستنييني تحت كلهم هيلعبوا اشمعنا أنا!

ـ عشان أبوك قال كدا.

.

- حاضر يا ماما.

تقدم الطفل نحو الغرفة التي أتواجد بها فتنحيت جانبا أغلق الباب بهدوء ثم فتح باب الشرفة وألقى بالكرة في الشارع و تسلق عمود الإنارة بجانب سور الغرفة فتقدمت نحوه أقول:

- بتعمل إيه يا مجنون هتموت نفسك!

لم يسمعني أو حتى ينظر إليّ وكأنني طيف لا وجود له شعرت بنفس الصداع الذي أيقظني من النوم في صباح اليوم التالي شعرت برعشة شديدة في جسدي برودة تجتاح جسدي رغم أني أتصبب عرقا نظرت في الساعة فوجدتها الثامنة صباحا نهضت من مكاني بسرعة بدلت ملابسي ثم هرولت إلى الشارع وفي خلال ساعة كنت قد وصلت للمكتب فوجدت هند جالسة خلف مكتبها كالعادة ما إن رأتني حتى هبت واقفة فقلت بثقة:

- صباح الخيرأستاذة هند.

- لوسمحت يا أستاذ خالد كفاية مشاكل.

- مشاكل إيه هوانتي متعرفيش؟

- معرفش إيه؟

- أنا اشتغلت معاكم هنا.

- بجد؟

- أيوة كنت هنا امبارح والدكتور قالي إني هكون معاكم شهر تحت التدريب.

- ألف مبروك.

- الله يبارك فيكي.. أستاذ مجدي وصل؟

- أيوة لسه واصل حالا.

.

- طيب هاتيلي القهوة بتاعتي على المكتب.
وقفت تنظر إليّ دون أن تنبس بكلمة فأردفت قائلا:
- بهزر معاكي كنت بجرب الكلمة بس.
دلفت بنفس الثقة حديثة العهد بي إلى المكتب طرقت الباب ثم سلمت على الأستاذ مجدي القابع خلف مكتبه تائها بين الأوراق الممتلئة بالسطور والتي هي بالنسبة لي كطلاسم لا أعي فيها شيئا.
- صباح الخير أستاذ مجدي.
رفع أستاذ مجدي رأسه ثم عاود النظر في الأوراق وهو يقول:
- هتنزل الشهر العقاري هيقابلك عميل عاوز يعمل توكيل بيع هتخلصله الإجراءات وتيجي.
- توكيل؟ طيب اسمه إيه وهعرفه ازاي؟
- أستاذة هند عندها كل المعلومات.
خرجت من المكتب متجهًا إلى أستاذة هند ومنها إلى الشهر العقاري الذي ستكون تلك أول مرة أدخله فيها فكيف لي أن أنهي إجراءات هذا العميل خرجت من البناية وأنا ألعن حظي لسببين أولا لأني لم ألعنه اليوم بعد الثاني أنني تخيلت أني بمجرد أن أدخل إلى المكتب سيعطيني الأستاذ مجدي قضية معقدة ويطلب مني أن أتولى حلها ومعرفة ثغراتها فأذهب في اليوم التالي إلى المحكمة لأتلو على القاضي مرافعتي فتجلجل أسوار المحكمة بالتصفيق.
- امشي في جنب يا حمار.
كان القائل سائق سيارة كان على وشك أن يصدمني لولا تدخل القدر في تلك اللحظة فانتبهت إلى سيري بمنتصف الطريق فتنحيت جانبا بسرعة وسط نظرات غضب وسخط من الجميع وكأني ارتكبت في حقهم ذنبًا لا

.

يغتفر.. مددت يدي في جيبي ثم استللت هاتفي واتصلت بنعمة لأخبرها بأول مهمة تم تكليفي بها في العمل وجدت رقمها مشغولا عاودت الاتصال فكانت نفس النتيجة ظهر بداخلي شعور جديد عبارة عن خفقان شديد في قلبي وأفكار تدور برأسي عاودت الاتصال فردت نعمة فقلت وكأنني أصرخ في وجهها:

ـ بتكلمي مين؟!

رددت نعمة بهدوء:

ـ صباح الخير يا خالد.. كنت بكلم بنت صاحبتي.

ـ بتكلميها من امتى؟

ـ في إيه يا خالد إيه الأسئلة دي.

ـ ردي عليا بتكلميها من امتى؟

ـ معرفش بالظبط انت متصل عشان تتخانق؟!

ـ سلام يا نعمة.

أغلقت الهاتف وبداخلي براكين غضب تصب حممها على عقلي المكتظ بالأفكار.. لم يكن الأمر بتلك الأهمية بالنسبة لأي شخص ولكني شخص مصاب بمرض الشك ذاك المرض اللعين الذي يوقن صاحبه بأنه مجرد مرض هلاوس عقلية ولكنه يصدقه ويتبعه رغمًا عنه كنت أشك بها أراقب حسابها الشخصي كل وقت وحين أراقبها في الجامعة دون أن تدري أتصل بها في أوقات متأخرة لمعرفة ما إن كانت تحادث أحدا متعللا بأن هاتفي به عطل عندما أعلم أنها في البيت بمفردها أتصل بها وأخبرها بأن تترك الخط مفتوحًا حتى تعود والدتها مقنعًا إياها بأن ذلك مجرد خوف عليها لم تشك هي بأفعالي تلك ولكني فعلت جلست كثيرًا أحاول أن أثني عقلي عن ممارسة تلك الألاعيب حاولت أن أصل لسبب

.

مقنع لإصابتي بذاك المرض هل هو لرحيل والدي عني وشعوري دائما بالخوف أم بسبب انعدام ثقتي بنفسي أم بسبب تجارب سمعتها من أصدقائي كانت بطلتها دائما فتاة خائنة لم يكن ذلك الشعور مصاحبا لي في كل وقت بل هناك أوقات كنت أعلم يقينًا أن نعمة لم يخلق مثلها ولا تضاهيها أي فتاة احترامًا وأدبًا.

انتهى يومي الأول في العمل فعدت أدراجي إلى الحارة وجهي عابس ملامحي غاضبة رفعت رأسي أنظر إلى شباك غرفتها فوجدته مغلقا فاتصلت بها.

ـ نعمة انزليلي تحت أنا عاوزك.

ـ لا مش هنزل يا خالد.

ـ أنا قدام البيت لو منزلتيش هطلع أنا.

أغلقت الهاتف فعلمت أنها قد استجابت لطلبي وما إن مرت بضع دقائق حتى سمعت وقع أقدامها تهبط من أعلى وقفت أمامي متسائلة:

ـ في إيه يا خالد؟

ـ هاتي تليفونك.

أخذت هاتفها من يدها ثم بدأت أبحث في سجل المكالمات لم يكن في السجل سوى رقمي ورقم آخر مسجل باسم "سها" كتبت الرقم على هاتفي ثم ضغطت زر الاتصال فردت فتاة أغلقت الخط سريعا بينما وقفت منخفض الرأس مهزوما في معركة من طرف واحد والرابح هو لا شيء لا أحد ولأول مرة تقام حرب جميع أطرافها خاسرين مدت نعمة يدها فأعطيتها هاتفها فصعدت مهرولة وصوت بكائها كالطنين في أذني لا أمتلك القدرة لأجعله يغيب عني ماذا أقول، ماذا أفعل خرجت من البناية وأنا كاره كل شيء عقلي المريض، عيني الدامعة، يدي التي

.

عبثت بهاتفها وكأن كل حب تحول لكره سوى حبها هو الشيء الوحيد الباقي الذي لم يتحول دلفت إلى البناية التي تحوي شقتنا أصعد السلم ببطء وكأني أحمل فوق كتفي أطنانا من الحديد طرقت الباب ففتحت أمي بضحكتها التي دائما ما تكون أول شيء أراه لم أتفوه سوى بجملة واحدة.

ـ ماما أنا عاوز أخطب نعمة.

ـ إيه يا واد كدا مفيش سلام ولا كلام داخل تفكر في نعمة.

ـ ماما أنا مش بهزر هروح أطلب إيديها النهارده من أبوها.

ـ طيب يابني اهدى كدا انت معاك فلوس حتى تشتري حاجة ليهم وانت رايح؟

ـ هتصرف يا أمي المهم أنا هروح النهارده يعني النهارده.

دلفت إلى غرفتي نزعت ملابسي ثم جلست على سريري أحاول الاتصال بها بينما لم يفارقني صوت بكائها كان هاتفها مغلقًا جلست أنتظر مرور الساعات القادمة بفارغ الصبر حتى أذهب إلى والدها، دقت الساعة السادسة والنصف فدخلت إلى دورة المياة اغتسلت ثم ارتديت ملابس جديدة وقلبي يخفق بشدة ليتني أستطيع أن أمد يدي فأنزعه عني خرجت من غرفتي بينما تتابعني أمي بنظرها دون أن تنبس ببنت شفة حتى وصلت إلى باب الشقة فقالت وكأنها تهمس:

ـ انت زعلت نعمة يا خالد؟

التفت إليها قائلا:

ـ لا يا أمي أنا كسرتها أنا نزلتها من بيتها ورجعتها بتبكي.

اقتربت مني أمي وهي تبتسم في حنو وتتحسس وجهي بكفيها.

.

ـ بص يابني البنت أما بتحب بتتعمي عينها مش بتشوف إلا حبيبها ضهرها بيتسند عليه بترمي كل حمولها وهي متطمنة إن في راجل هيشدها لو وقعت أصعب لحظة بتمر علينا لو اتكسرنا من أكتر شخص تخيلنا إنه هو اللي هيجبرنا دموع البنت طول حياتها حاجة ودموعها من الكسرة حاجة تانية بتتحول لصخرة كل مرة بتكبر حبة لغاية ما يتضطر تبعد... نعمة بتحبك يا خالد متخافش بنت الناس الصح عمرها ما بتبيع من أول غلطة.

أمسكت يد أمي ثم طبعت قبلة عليها وخرجت وأنا أشعر بطمأنينة حلت بي خرجت من البناية إلى قهوة المعلم صابر والتي يجلس عليها والد نعمة في هذا الوقت كل يوم مع أصدقائه اقتربت منه فقام مرحبًا بي طلبت منه أن أحدثه منفردًا فجلسنا على منضدة في ركن خالٍ من القهوة فبدأت حديثي محاولا إخفاء توتري:

ـ أخبارك إيه يا عم رجب مبقتش بتظهر كتير زي الأول.

ـ والله يابني مشاغل، أخبارك انت إيه والحاجة عاملة إيه؟

ـ بخير والله الحمد لله، أنا كنت عاوزك في موضوع مهم.

ـ تشرب إيه الأول؟

ـ ولا أي حاجة خلينا نتكلم الأول وبعدين نبقا نشرب، أنا الحمد لله اتخرجت واشتغلت كمان.

ـ ما شاء الله ربنا يحفظك.

ـ يارب، أنا بطلب إيد الآنسة نعمة منك يا عم رجب انت تعرفني كويس ومتربي على إيدك وأنا مش هلاقي حد زيك يبقا في مقام والدي.

صمت عم رجب قليلا بينما شعرت بقسمات وجهه تنفرج شيئا فشيئا فلاحقته بالسؤال:

.

ـ قولت إيه يا عم رجب؟
ـ أنا يا خالد يابني مش هلاقي أحسن منك ولا من الحاجة أم خالد أنا معنديش مانع بس انت عارف لازم آخد رأي نعمة الأول القرار الأول والأخير ليها.
شعرت بانقباضة في قلبي بمجرد ذكره رأي نعمة فلم أكن أتخيل يومًا أن أكثر شيئًا أخشاه في هذا الموقف هو رأيها ولكن أنا من فعلت كل ذلك فليكن الألم ألمين والخوف أطنانًا والصبر فارس يرفع سيفه فوق رقبتي انتظارًا لقرارها أنا أستحق كل ذلك كما لم تكن هي تستحق أن تبكي.
كانت تمر الأيام ثقيلة بطيئة وأنا ما بين عملي وغرفتي ومحاولات اتصالاتي الفاشلة بنعمة بعد أسبوعين كنت أجلس خلف المكتب الصغير في غرفتي أتوه بين صفحات رواية للكاتب الكويتي سعود السنعوسي بعنوان "ساق البامبو" كانت تلك الرواية تحمل ألمًا بين طيات صفحاتها جعلني أشعر بغصة في قلبي أقلب صفحاتها فتأخذني أحداثها إلى أبي الذي افتقدته كما افتقد عيسي أو هوزيه والده فيتملكني القلق أن يكون قد مات أبي كما مات والده.
كانت الساعة تشير إلى السابعة مساءً رن هاتفي برقم غير مسجل فوضعته على أذني فنطق صوت أشعر أني أعرفه:
ـ السلام عليكم ازيك يا أستاذ خالد؟
ـ عليكم السلام مين معايا؟
ـ أنا عمك رجب ممكن تنزلي تحت على القهوة شوية؟
ـ حاضر دقايق إن شاء الله وأكون قدامك.
قمت أهرول في أنحاء الغرفة أمسك قميصا في يدي وفي الأخرى حذاء أرميه ثم أمسك بمشط وأمشط شعري أرتدي القميص فوق ملابس البيت

.

أمسك هذا وأرمي هذا لم يكن عقلي يستطيع تجميع أي شيء ولا التفكير فقط الآن سأنتهي من حزني للأبد أو سيكون بداية حزن لن ينتهي بعد معاناة كنت قد بدلت ملابسي هممت خارجًا دون حتى أن أخبر أمي كان عم رجب جالسًا بمفرده في ركن القهوة يبدو وأنه قد رتب هذا مسبقًا للحديث معي على انفراد جلست بجانبه بعدما تبادلنا التحية فقال وقد توردت وجنتاه:

ـ أنا محبتش أبلغك رأيي في التليفون عشان انت مقامك كبير عندنا.

ـ ربنا يعزك يا عم رجب.

ـ أنا زي ما قولتلك معنديش مانع وأتشرف بيك وبالحاجة وأم نعمة كمان فرحت أوي لما سمعت الخبر.

قم قال وقد بدأ القلق يتسلل إليّ:

ـ نعمة قالت إنها عاوزة تقعد تتكلم معاك الأول.

انفرجت أساريري فضحكت ضحكة مستبشرة فأنا أعلم ماذا تريد أن تقول وأعلم جيدا ماذا عليّ أن أفعل فقلت:

ـ حضرتك تحب آجي امتى؟

ـ دلوقتي أنا بلغتهم إنك هتطلع معايا وزمانهم حضروا العشا.

أقسم لكم أنني لم أشعر بفرح أو سعادة في حياتي مثل الآن ستظل تلك اللحظة محفورة على جدران قلبي واحترام والدها لي وسام أعلقه فوق صدري حتى يأتيني اليقين.

أخبرت عم رجب أنني سأتبعه فصعد هو بينما اتجهت أنا إلى دكان الحاجة سامية اشتريت بعض الكيلوات من أنواع مختلفة من الفاكهة ثم أعطيتها ما لدي من مال على أن أسدد الباقي في حين آخر ثم اتجهت

.

إلى شقة عم رجب طرقت الباب ففتحت أم نعمة وهي ترسم على وجهها ابتسامة عريضة فقلت:

ـ ازيك يا خالتي؟

ـ بخير يا حبيبي ألف ألف مبروك يا أستاذ خالد.

ـ الله يبارك فيكي اتفضلي.

مددت لها يدي بأكياس الفاكهة فأخذتهم مني وهي تقول:

ـ مكانش ليه لازمة التعب دا يا أستاذ خالد والله.

أشارت إلى حجرة جانبية على يمين الباب قائلة:

ـ اتفضل ادخل وأنا هبلغ نعمة إنك وصلت.

دخلت إلى حجرة الضيوف لم أهتم بمشاهدة تفاصيلها فقط جلست ونظري مثبت على باب الحجرة أنتظر قدومها وأخيرًا وجدتها أمامي أضاءت قلبي كشمس أضاءت السماء بعد ليل سرمدي دخلت ضامة يدها إلى جانبيها تنظر في الأرض ترتدي عباءة واسعة لونها أزرق وحجابا بنفس اللون قمت مكاني وأنا أحاول أن أخفف من وطأة الموقف:

ـ إيه كمية الأزرق دي كلها انتي وقعتي في محبرة ولا إيه.

أشارت بيدها إلى الكرسي قائلة:

ـ اتفضل أقعد.

فعلمت بأن قلبها لا يزال متضررا ولم تغفر لي بعد فجلست وجلست هي على الكرسي المجاور لي صمتت قليلا وأنا أعلم يقينًا أنها لن تكون قاسية ليس لضعفها ولكن لأنها أقوى من أن تقسو على قلب تعلم بأن نبضاته تتغنى باسمها.

اعتدلت في جلستها ثم رفعت عينها في عيني وهي تقول:

.

ـ هو أنا لو بنت مش كويسة وكدابة وأستحق إنك تفتش في خصوصياتي عشان تتأكد من تربيتي بتتقدملي ليه؟
ـ نعمة أنا اللي مربيكي أنا بس عندي هواجس بتجيلي فجأة كدا لكن أنا بحبك وعمري ما شوفت حد غيرك أصلا.
ـ خالد أنا بنت أهلي عرفوا ازاي يربوني وازاي أحمي نفسي لو كنت في وسط ألف شاب لو كنت بكلمك أو خرجت معاك مرة فدا لإننا متربيين مع بعض وعارفة إنك كنت ناوي على خير.
فقلت مازحًا:
ـ طيب ما احنا قاعدين في الخير أهو، أنا آسف أوعدك إني مش هعمل كدا تاني أنا مش هقدر أسببلك أي ضرر تاني هو فيه حد يضر نفسه.
ـ ماشي يا خالد افتكر إنك وعدت ووعد الحر دين عليه.
ـ ها بقا موافقة ولا آخد الفاكهة وأمشي؟
فقالت مبتسمة:
ـ موافقة أما نشوف آخرتها إيه.
مرت تلك الليلة سريعة جدًا تناولنا فيها العشاء ثم جلسنا نتسامر ونحلم كيف ستكون حياتنا كيف سنضع في بناء سنينها الطويلة أول طوبة ثم التي تليها تحدثنا وعلى وجهنا ابتسامة لا تفارقنا وكأننا خلقنا مبتسمين عدت إلى الشقة لأجد والدتي تجلس في الصالة أمام التلفاز لم تنظر إليّ فتلك علامة على غضبها مني هي كذلك أقصى ما يمكن أن تفعله معي ألا تنظر إليّ ولكن ذلك لا يدل على عدم رسم الابتسامة على وجهها فهي لم تحرمني منها يومًا جلست بجانبها ثم أمسكت يدها فقالت:
ـ مقولتليش ليه إنك نازل تقابل عم رجب؟
عقدت حاجبي متسائلا بضحكة:

.

ـ عرفتي ازاي؟
ـ عشان الروح ردت فيك تاني.
ـ آسف يا أمي أنا اتلخبطت أما كلمني كنت عاوز أعرف رأيها.
استدارت أمي بجسدها ناحيتي ثم عانقتني عناقا طويلا عناقا جعلني أشعر بأنني امتلكت الحسنيين ما أجمل تلك اللحظات التي أشعر فيها بنبضات قلبها بجوار نبضات قلبي التي تعزف فرحًا همست في أذني بنبرة باكية:
ـ مبروك يابني والله ربنا يعلم أنا فرحانة ازاي.
ـ ربنا يبارك فيكي يا أمي سامحيني.
ـ أسامحك.. افرح يا واد متفكرش في أي حاجة بس اوعى تخلي فرحتك تنسيك إنك بقيت راجل.
تركت يدها ثم قلت بحزن مصطنع:
ـ ليه الغلط دا يا أمي أنا مكنتش راجل قبل كدا ولا إيه؟!
ـ لا راجل وسيد الرجالة طبعًا بس الراجل اللي بجد اللي يقدر يحافظ على اللي ليه ويحميه اللي يقدر يسنده في وقت قوته قبل وقت ضعفه.
ـ والله يا أمي انتي بتقولي كلام زي الفل بالمناسبة دي عاوز أسألك سؤال.. هو بابا فين؟
أمسكت أمي بريموت التلفاز ثم بدأت تقلب في قنواته فعلمت أنها مازالت تعرض عن إجابة هذا السؤال فقلت:
ـ ماشي يا أمي تقريبا دا ميعاد المسلسل بتاعك.
فابتسمت دون أن تنظر لي فأردفت قائلا:
ـ هقوم أنا أنام عشان الشغل تصبحي على خير.
ـ وانت من أهله يا حبيبي.

.

ـ إيه المسلسل خلص دلوقتي ماشي.
دلفت إلى غرفتي وأنا أتذكر حالتي عندما كنت بها منذ ساعات قليلة عبوس الوجه قانط من رحمة الله ناكر لكل ما هو جميل والآن أنا سعيد غير قانط ولا ناكر فقلت في نفسي:
ـ سامحني يا رب لم أشك لحظة بكرمك ولكن غلبني هواي وضاقت بي نفسي.
بدلت ملابسي سريعًا ثم توضأت وصليت ما فاتني من فروض ثم أتبعتهم بركعتي شكر لله شكرته على كل شيء أمي ونعمة ونعمات كثيرة لا تعد ولا تحصى انتهيت من الصلاة ثم نهضت متجهًا إلى سريري ولكن فجأة شعرت بهزة بسيطة في أرجاء المنزل وقفت مكاني لدقائق أنظر إلى مصباح الغرفة الثابت في مكانه باب النافذة الذي لم يهتز حاولت التوجه إلى باب الغرفة ولكن فجأة شعرت بأن أرضية الغرفة تدور بي اختفى شعاع الضوء المتسلل عبر فتحة الشباك بدأ الظلام في الانتشار من حولي ما هذا ماذا يحدث هل هو الموت هل هذا مايحدث عند انقباض الروح لم تعد قدماي قادرة على حملي فسقطت أرضا لمحت من بعيد ضوءا صغيرا يتقدم ناحيتي ما إن اقترب حتى رأيت رجلًا ضخم الجثة شعره طويل شديد السواد كذلك لحيته أيضًا يرتدي زيًا حديديًا ويحتذي بحذاء يصل لركبته يحمل في يده شمعة هي مصدر الضوء في المكان بدأ جسدي في الانتفاض وعرقي يتصبب على كامل جسدي بينما هو يقترب أكثر حاولت النهوض ولكن قدماي لا تتحرك توسعت عيناي وشعرت ببرودة شديدة تجتاح أطرافي المرتعشة اقترب مني وكأنه يهمس قائلًا:
ـ أهلا بك سيدي المختار.

.

- لا لا والله منا مختار أنا خالد أقسم بالله.
- لا تقلق سيدي أعلم بأن هيئتي غريبة عن عالمكم ولكن الوقت قد حان.
- خلاص هموت... أشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.
أغمضت عيني وأحاول أن أشاهد شريط حياتي يمر أمامي كما يحدث عند الموت.
- سيدي ما كل هذا الفزع هدئ من روعك!
- انت مين ياعم وعاوز إيه؟
- أنا الجندي مهلابيل رسول من عند الملك آجات ملك المملكة الجنوبية أحمل إليك رسالة.....
- استنى بس كدا ياحاج هابليل انت انت رسول من جات ازاي يعني انت عاوز إيه بأسماء الكفار بتاعتك دي!
- سيدي أنا رسول الملك آجات ملك المملكة الجنوبية أحمل إليك رسالة.
- برضو.. طيب رسالة إيه؟
- من الملك آجات إلى المختار الثالث تنفيذًا للاتفاقية التي أقمناها مع المختار الأول وقد وفى هو بها ومن بعده المختار الثاني فإني أطلب مساعدتك حين يصل إليك رسولي سأكون قد أتممت مراسم استقبالك السرية.
- تصدق بالله أنا ما فهمت كلمة.
- الملك يريد مساعدتك للقيام بمهمة لا يقدر عليها غيرك.
- أنا؟
- نعم أنت.
- ومين مختار الأول ومختار التاني دول؟
- المختار الأول لا أعلم ولكن على الأرجح أنه أبيك وأبيه.

.

- أبويا؟ وجدي؟ يعني انت بتحاول تقنعني إن هما كانو عندكم؟
- لست متأكد ستعرف كل شيء يا سيدي عندما آتي المرة القادمة لاصطحابك معي.
سأعود إليك قريبًا جدًا وعليك أن تكون على أتم استعداد وعليك أن تتأهب جيدًا فالأيام القادمة سحابتها سوداء تملؤها غيوم الرحيل.
اختفى ضوء الشمعة وشعرت بنفس اهتزازة الأرض قبل أن يعود كل شيء كما كان حاولت إقناع نفسي بأن ما رأيته مجرد حلم لكن على من أكذب على نفسي هذا لم يكن حلمًا أنا متورط في شيء ما لكن لا أعرف كيف ولا متى ولا أين وكل كلمات الاستفهام بداخلي تدور في حلقات اتجهت إلى مكتبي أمسكت بعض الصور الخاصة بوالدي كل صورة في شبابه لم يتعدَّ عمره منتصف العشرينات شعرت لوهلة بشيء يقترب مني يتحسس وجهي هامسًا:
- لا تذهب لا تذهب.
ارتعشت يدي فتركت الصورة فحملها الهواء تابعتها بجسدي المرتجف وأطرافي الباردة وهي تلف أنحاء الغرفة بسرعة ثم استقرت أمامي على المكتب نظرت إليها فتملكني كل إحساس خلق ليعبر عن الخوف اختفت صورة والدي وتبدلت بصورة لرجل مسن هزيل أصلع الرأس شعره الخلفي طويل أبيض اللون كلحيته تمامًا يرتدي عباءة بيضاء ويمسك بيده عصا تبدو مصنوعة من العاج رأيته يقول:
- لا تذهب.
أسرعت إلى سريري أحتمي بغطائي أحاول أن أقبض بكل قوتي على ما تبقى لي من عقل على الأقل لمدة ساعتين حتى تبزغ الشمس فتغسل كل آثار الدمار الذي يسببه الليل بسواده وسكونه المتورط في كل ما هو

.

غير عقلاني حاولت أن أستغرق قليلًا في النوم ولكن هيهات أي نوم هذا هناك بعض المواقف قد تسبب لنا أرقًا أو حزنًا أو ألمًا لكن هذا الموقف جعلني أفكر في ماهيتي كينونتي أي مختار أنا ومن هذا الملك الذي يريد مساعدة شخص مثلي وما هو سر ذلك الشخص الظاهر في الصورة موقف واحد جعل حياتي عبارة عن ثلاثة أسئلة وحسب انطلقت أصوات الأذان لصلاة الفجر فارضة سكونها على القلوب معلنة بأن الصلاة خير من النوم نهضت من مكاني بعدما تأكدت من وجود حوائط الغرفة في مكانها توضأت واعتدلت على القبلة أصلي الفجر لأطلق العنان أحكي كل ما بداخلي لله (يا الله أنقذني كن معي في ضعفي أبعد عني ذلك الشر المجهول) انتهيت من الصلاة فسمعت صوت باب غرفة والدتي يُفتح فعلمت بأنها قامت لتصلي هي الأخرى انتظرت بعض الوقت ثم توجهت إلى غرفتها جلست أمامها على الأرض تنظر لي باستغراب وأنظر إليها بارتباك سؤال واحد فقط أريد معرفة إجابته منها ولكن شعرت بأن لساني منعقد.

- خير يا خالد يابني إيه مصحيك دلوقتي مش عوايدك؟!

- كنت بصلي الفجر يا حاجة.

- ماشاء الله بتصلي الفجر وكمان حاضر..

وابتسمت وهي تقول:

- صلى وصام لأمر كان يطلبه فإذا انقضى الأمر لا صلى ولا صام.

- إيه دا أمر إيه انتي عرفتي؟

- عرفت مالك يابني وشك مخطوف ليه كدا؟

- عاوز أسألك سؤال بس ياريت تجاوبيني.

قالت وهي تغمز بإحدى عينيها:

.

- عارفاه من غير ما تسأل.
- عارفاه؟
- أيوه على العموم متخافش اختيارك صح البت نعمة دي كويسة ومحترمة وبتكافح وأهلها ونعم الناس والله.
- نعمة؟ يخرب بيت أم...
- ولا في إيه هتشتمها ولا إيه!
- يا حاجة ما تسيبيني أسأل بدل شخصية المحقق اللي انتي متقمصاها دي وبعدين كل توقعاتك غلط على فكرة.
- طب اسأل يا ظريف.
- أبويا فين يا أمي؟

نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط شعرت وكأن رصاصة اخترقت قلبها فتشتت عقلها وتوسعت عيناها وهي تنظر نحوي قائلة بنبرة مهتزة:

- أبوك مات.
- مات ازاي وامتى؟
- مات وخلاص.
- انتي قولتي قبل كدا إنه مماتش أمي أنا مبقتش صغير أرجوكي جاوبيني.
- قولتلك مات مات.
- لا مماتش عينيكي بتقول إنك مخبية عني حاجة.

قالت بصوت مرتفع ونفاذ صبر وهي تضغط على مخارج ألفاظها.

- ما قولتلك مات وخلاص انت صاحي تقلب عليا ليه يابني.
- خلاص يا أمي ماشي.
- خالد انت مخبي عليا حاجة؟

.

- متقلقيش يا أمي طالما انتي مش مخبية حاجة يبقا أنا مش مخبي حاجة.
تركتها جالسة في محرابها ثم عدت إلى غرفتي وعقلي قد استنفذ كل محاولاته في التفكير نظرت في الساعة فوجدتها السادسة صباحًا أويت إلى سريري ليرتاح جسدي قليلًا ولكني على يقين بأن عقلي لن يتركه هكذا ولكني بعد عدة محاولات استطعت إقامة هدنة مؤقتة بين عقلي وجسدي بعدما أقنعتهما بأن ما حدث مجرد هلوثات أو تهيؤات.. دقت الساعة السابعة والربع فنهضت من سريري سريعا بدلت ملابسي وسلمت على والدتي التي كانت تقف في المطبخ لممارسة طقوسها الصباحية ألحت عليّ بتناول الإفطار فرفضت متعللًا بتأخري على المكتب خرجت إلى الشارع ليداعب هواء الصباح وجهي وأستنشقه بقدر ما بداخلي من احتياج للراحة نظرت إلى شباك غرفة نعمة فوجدته مغلقا فاضطربت قليلًا ليتها كانت واقفة الآن كنت سأنظر لعينيها وأهمس بالكلمة التي طالما شاهدتني أرددها كل يوم ولم تسمعها مني قط.. أحبك.
واصلت السير وواصلت بينما تتسرب المشاهد إلى عقلي رويدًا رويدًا فحاولت إلهاء نفسي بأي شيء انزويت من الشارع المؤدي إلى حارتنا إلى خارجها فشد انتباهي صوت قطة تصرخ بكل قوتها شعرت بأنها تقف على كتفي وتضع فمها في أذني آذاني الصوت فدفعني الفضول إليها كانت قطة سوداء صغيرة الحجم عينيها خضراوين ترفع قدمها فيسيل منها دم لونه أحمر قاتم توقفت عن المواء ونظرت في عيني أقسم لكم أني سمعتها تقول (لا تذهب) أغمضت عيني أحاول استيعاب ما تقوله فكررت ما قالته(لا تذهب) ثم جرت إلى منتصف الشارع لتنتهي حياتها تحت إطار سيارة سريعة تسارعت أنفاسي وتحرك صدري بنفس سرعتها لم يكن لدي أي عقل أسأل به نفسي ماذا يحدث فواصلت السير

.

باتجاه المكتب تاركًا خلف ظهري أشياء غير مفهومة وأصواتا غير معلومة وأمواتا مايزالون على قيد الحياة ومختارا لا أعلم لأي شيء تم اختياره أشياء تشبه الكوب الزجاجي المنكسر لآلاف القطع وعليّ أنا جمع المكسر كنت أنظر في وجوه السائرين منهم الضاحك والعابس المسرور والحزين المتفائل والمتشائم الطامح والطامع الشيء وعكسه حكايات وحكايات ولكن أنا متأكد لا ثوجد بينهم شخص يشعر بمثل ما أشعر به الآن.

دخلت المكتب فقابلتني هند ببعض الأوراق في يدها ثم طلبت مني أن أتجه إلى مكتب محامٍ آخر سيوقع عليها فقلت لها وأنا أمط شفتي:

ـ هو أنا كنت فاهم المحاماة دي غلط ولا انتو اللي ناس غريبة؟

عقدت حاجبها وهي تمد يدها إليّ بالأوراق دون أن تنبس بكلمة.

مرت الأيام التالية ثقيلة جدًا لم يتوقف فيها عقلي عن التفكير وبرغم حديثي مع نعمة كل مساء إلا أنني لم أستطع البوح لها بأي شيء فأنا لا أعلم كيف أصيغ ما حدث ولم أرد أن أقلقها بشأن هذا الأمر الغريب ذلك إن لم تتهمني بالجنون حاولت كثيرًا أن أنزع ذاك الموقف من عقلي ولكن اجتمع عقلي وقلبي وجميع جوارحي عليّ فأردوني مستسلمًا لذاك الشعور حبيسًا لأفكاري وفي صباح أحد الأيام كنت قد شرعت في تبديل ملابسي رن منبه هاتفي ليس ليوقظني ولكن لينبهني بأنه لم يعد سوى شهر واحد على موعد خطوبتي أنا ونعمة فأنا قد أعددت ذلك مسبقا انفرجت أساريري فأمسكت هاتفي ثم اتصلت بها لأخبرها بذلك الخبر المفرح إن لم تكن تعلمه وإن كانت تعلمه فستسعد لانتباهي أنا أيضًا هم كذلك فقط عليك أن تقرأ عقولهم المعقدة وتفك شفراتها حينها ستعتلي قمة

.

قلوبهم وتتوج ملكه الحاكم للأبد ردت نعمة بصوتها الجميل الهادئ الذي يوحي دائما أن كل شيء بخير:

ـ صباح الخير يا خالد.

ـ صباح الخير يا حبيبتي.. تعرفي النهارده يوم إيه؟

ـ آه التلات ليه؟

ـ لا أقصد كام في الشهر.

ـ سبعه ليه برضو؟

ـ مش بيفكرك بحاجة!

صمتت قليلًا ثم سمعت صوت رجل يتحدث بجانبها زممت جبهتي قائلا بعصبية:

ـ انتي فين؟

ـ في الميكروباص رايحة الجامعة.

ـ صوت مين اللي جمبك دا؟

ـ معرفش واحد قاعد.

ـ بيكلمك ليه؟

ـ مكلمنيش يا خالد أنا أعرفه منين!

ـ انزلي من الميكروباص يا نعمة.

ـ أنزل فين يا خالد انت اتجننت!

ـ قولتلك انزلي حالا!

ـ في إيه يا خالد أنا عندي امتحان النهارده في المحاضرة!

ـ قولت انزلي وإلا هيكون كل شيء بينا انتهى.

صمتت للحظات سمعت فيها صوت أنفاسها تتسارع ثم قالت بهدوء:

ـ حاضر يا خالد أنا هنزل سلام.

.

أغلقت الهاتف فشعرت بصدري قد هدأ قليلا فهرولت بسرعة أقف على مدخل البيت أراقب وصولها ما أن رأيتها حتى تقدمت نحوها وعيني تكاد تصدر شررًا:

ـ كنتي بتكلمي مين؟

ـ حرام عليك بقا حرام والله انت شايفني إيه للدرجادي أنا رخيصة للدرجادي أنا بنت مش محترمة بتشك في إيه وفي مين أنا يا خالد هكون ماشية مع حد غيرك دي الصورة اللي كونتها في عقلك عني متشكرة يا سيدي ابعد عني وسيبني لحياتي اللي كلها خيانة وكدب من النهارده وأقسم بالله يا خالد لو حاولت تكلمني أو توقفني في الشارع مرة تانية ما هسكت كل حاجة خلصت خلاص.

ـ انتي بتقولي إيه؟

ـ اللي سمعته أنا مش هتجوز حد يرضى حتى إنه يتخيل مجرد تخيل إني كدا.

ـ نعمة أنا آسف.

ـ مش كل حاجة ينفع فيها الأسف مش كل حاجة بتتكسر بتتصلح.

ـ لا بتتصلح والله آسف.

مدت يدها اليمنى ثم نزعت عنها ساعة اليد التي كنت قد أهديتها إياها ثم أسقطتها أرضًا ودهستها بقدمها حتى أصبحت أجزاء متناثرة ثم قالت بنبرة قاسية لم أرها من قبل:

ـ صلحها ورجعها زي ما كانت لو تقدر.

قالتها ورحلت وأنا في مكاني لا أشعر سوى بالخذلان مددت يدي ثم التقطت الساعة ووضعتها في جيبي وأنا أشعر بحاجة شديدة إلى البكاء ولكن تأبى عيني أن تفعل.

.

كانت الأيام تتوالى بصعوبة لم أعد أسمع صوتها لم أعد أرى ضحكتها فتحتضن جوارحي ويكاد قلبي أن يرحل من بين ضلوعي فيقبل قلبها بت ألعن نفسي ألعن حظي العثر كارها لكل شيء حتى وجهي عندما أراه في المرآة كل صباح أكاد أبصق عليه كنت أشعر بحاجة شديدة لأن أراها وفي عصر يوم كنت أقف في نافذة غرفتي رأيتها تخرج من البناية فهرولت إلى الشارع أراقبها ظللت وراءها حتى توقفت أمام استاد كرة قدم فعلمت أن هناك مباراة لفريقها المفضل وقفت بعيدا أتابعها وهي تتحدث في الهاتف فانتابني ذلك الشعور فقلت محدثا نفسي:

ـ ستقابل شابًا.

ولكن لم أكمل الجملة حتى رأيت فتاة تقترب منها ثم دخلا سويا من مدخل النادي بعد لحظات رأيت دخانا كثيفا يخرج من الاستاد وصوت طلقات نار وأيضا قنابل هرولت إلى المدخل لم أسمع سوى صوت واحد يتردد:

ـ افتح بتموت.

صرخت بشدة وعساكر الأمن تحيط المدخل الصوت يزداد في أذني مخلوطًا بصوت استنجاد بكيت وأنا أقف في مكاني أقول:

ـ نعمة جوة من فضلكم افتحوا الباب**!!**

بدأت سيارة الإسعاف تنهال على المكان فدخلت بسرعة محتميا بأحد أفراد الإسعاف وجدتها ملقاة على الأرض فحملتها بسرعة وخرجت بها وأنا أصرخ:

ـ نعمة نعمة أرجوكي فوقي**!**

لم تحرك ساكنا عيناها مغلقتان يداها ممدودتان لأسفل كذلك رأسها.

ـ نعمة أبوس إيدك فوقي بالله عليكي.

وضعتها في إحدى سيارات الإسعاف ثم اتجهنا إلى إحدى المستشفيات نعمة لا تتحرك قلبي يحدثني أنها ليست بخير تبا لذلك القلب الملعون نعمة بخير نعم لن يحدث لها مكروه وضعها رجال الإسعاف على العربة المتحركة وهرولوا بها إلى الداخل وقفت أنظر إليها من شباك الغرفة وأنا أبكي وأدعو الله أن تكون بخير لا أريد سوى سلامتها حتى لو لم تكن لي بعد ساعات خرج الطبيب قائلا:

ـ متقلقش هتبقا كويسة كان عندها اختناق شديد شوية من الدخان.

تركته واقفًا ثم اتجهت إليها وكل خلية في جسدي تشكر الله وكل قناة دمعية تذرف ما تقدر عليه من دموع أمسكت يدها قائلا:

ـ نعمة أنا خالد.

قالت بصعوبة وهي تحاول إزالة جهاز الاستنشاق من فوق فمها:

ـ إيه اللي جابك هنا..؟

ـ كنت في...

ـ كنت بتراقبني صح؟

ـ لا أنا...

ـ لو سمحت يا خالد امشي من هنا عشان خطيبي لو جه هنا هيتدايق.

ـ خطيبك؟

ـ لو سمحت امشي مش عاوزة مشاكل.

لم أنبس بكلمة ولماذا أفعل وأنا السبب المتسبب في كل شيء لم تتركني عمدًا فأعاتبها لم تخلف وعدها بل أنا من فعلت أهنتها وأبكيتها اتهمتها في أغلى ما لديها كنت دائما الظالم لها من غير ذنب والمعاقب دون صفح خرجت من الغرفة أسير بخطوات يعزف وقعها حزنا بقلب يضخ

.

دمًا تلوث بحب ذرفته رئتي غباءً دخلت إلى الشقة اتجهت إلى أمي في محرابها قائلا:

ـ أمي متزعليش مني مهما حصل.

نظرت باتجاهي وفي عينيها تساؤلات عديدة فقلت:

ـ مهما حصل يا أمي.

قمت مكاني دون أن أترك لها مجالا للحديث دلفت إلى غرفتي ثم جلست على سريري أتصفح الإنترنت شد انتباهي خبر عن مصابي حادث المباراة لم يكن بينهم اسم أي فتاة كيف ذلك ونعمة كانت هناك شيء آخر شد انتباهي موعد الحادث كان قبل الموعد الذى رأيته فيه بساعة، صداع يجتاح رأسي، مشاهد تعرض أمامي، حادث أمام البناية التي تحوي شقتنا، ذاك الطفل يبكي وهو يحتضن جثة رجل ملقى على ألأرض، كنت أجد صعوبة في تحديد هوية أي منهم، خرجت إلى الشرفة خرجت إلى الشرفة وأشعلت سيجارة بيدي المهتزة انتهيت منها ثم أتبعتها بأخرى.

كنت أشعر بانقباضة في قلبي اتخذت قرارا لا أعلم إلى ماذا سيئول مصيري معه ولكني عزمت النية على الذهاب إلى المجهول لعلي أستطيع التوارى من نفسي حتى ذاك الصوت قد اختفى تدريجيًا فيبدو أنه قد انصاع لإرادتي فتبدل إلى صوت آخر بداخلي يخبرني بأنه سيأتي الليلة ليأخذني معه وأختفي من هذا العالم الضار المضر المعكر لكل ما هو صافٍ وآخذ كل ما هو غالٍ، قمت من مكاني متجهًا إلى حقيبتي الصغيرة ثم وضعت فيها بعض أغراضي وبعضًا من الروايات التي اقتنيتها أيضًا ثم بدلت ملابسي واحتذيت بحذائي الجلدي وجلست على سريري ممسكًا بالحقيبة تتسارع أنفاسي متزامنة مع انقباضات قلبي

.

وانتفاضات جسدي مرت الساعة الأولى بعد منتصف الليل ثم الثانية والثالثة دون حدوث أي شيء يدل على قدومه الحوائط في مكانها ضوء القمر الممتزج بأول شعاع شمس فتحيل الغرفة إلى مزيج غريب من الأضواء الخجلة الخافتة تملكني اليأس كعادته في الأيام الماضي متخذا إياي عبدا له يفعل بي ما يشاء ويأخذني بين طياته فيسبح بي في أركانه المظلمة محتويًا روحي المستسلمة له كليًا فلا أنا قادر على التحرر منه ولا أنا راضٍ باتخاذه لي عبدًا لم يكن له يومًا مكان بقلبي ولكن الضعف يجعل منك ثغرة سهل اختراقها والألم يجعلك طينة سهل تشكيلها أشرقت الشمس فأزاحت الظلام من الخارج ليتحول بالكامل إلى داخلي أنا فقط أنا من يحتوي كل هذا الظلام ولكنه بدون قمر يخفف من ظلمته.. غلبني النعاس فنمت متدثرا بأغطية تبتلع جسدي الذي أصبح هزيلا فراحة تمدد جسدي أصبحت بدون طعم كمن سلبت منه ذكرياته الماضية فقط أغلق عينيك فلا راحة لك ولا طمأنينة لقلبك مرت ساعات النوم كدقائق أوربما شهور ميزان الوقت مختل كما اختلت كل موازيني.

في الليلة التالية جلست منتظرًا هذا الزائر المجهول أعد الدقائق أتوسل إليها ألا تمر حتى يأتي مرت الساعة الأولى ثم الثانية وها هي الثالثة تأتي بما انتظرته شعرت باهتزازة الأرض من تحتي فوقفت بسرعة للتأكد منها أو بالأصح للاستمتاع بها اختفى الضوء تدريجيًا والحوائط أيضا فنظرت إليهم أودعهم غير آسف عليهم أو مفتقدا لهم ظهر ضوء خافت من بعيد يقترب فأمسكت حقيبتي بإحكام لكي لا تختفي مع كل الأشياء المختفية.

اقترب مني وأنا أبتسم في هدوء فلما لمحني بادر قائلا:

- يبدو أنك مستعدًا يا سيدي.

.

أومأت برأسي قائلا بتحدٍّ متعمد:
- أيوة أنا مستعد يلا بينا.

- حسنًا ولكن ملابسك هذه ستفضحك بمجرد أن تطأ قدمك عالمنا.
- بجد وانت اللي هدومك تشرف ما شاء الله.
- نعم فأنا أرتدي الزي الرسمي لجيش بلادي.
- طيب وإيه الحل يعني؟
- لا تقلق فأنا أحضرت لك ملابس تستطيع ارتداءها.
- طيب ما تقول كدا على طول هات يا عم هلابيل.
- مهلابيل يا سيدي مهلابيل.. تفضل.
أخرج من كيسه القماشي المعلق على ظهره بنطالا واسعا بني اللون وقميصا بنفس اللون مفتوح الصدر وحذاءً جلديا ثقيلا برقبة طويلة.
- طيب إيه؟
- ماذا؟
- سأرتدي الملابس.
- حسنًا ارتديها.
- طيب ماشي إيه؟!
- ماذا؟!
- استدِر يا عم عاوز أغير!
- فهمتك آسف سيدي.
أدار مهلابيل وجهه فنزعت ملابسي بسرعة وعند هذه اللحظة الفارقة أدار وجهه قائلا:
- سيدي صحيح لغتك هذه....

.

تسمرت في مكاني وأنا كما ولدتني أمي قبل أن أصرخ في وجهه قائلا:
- لف وشك!
فأدار وجهة قائلًا بعفوية وهو يضحك ملء شدقيه:
- يبدو أنك تشعر بالإحراج.. نحن رجال فلماذا الإحراج إذن؟
فقلت متمتما بصوت خفيض:
- يخرب بيت تقل دمك!
انتهيت من ارتداء ملابسي ثم نظرت باتجاه المرآة ولكن الظلام يلف أرجاء المكان عدا تلك البقعة المضيئة التي يحملها مهلابيل.
- خلاص ياعم خلصت.
أدار وجهه ببطء يرمقني بنظره من أسفل لأعلى ثم من أعلى لأسفل فظهرت ابتسامة خفيفة على وجهه ليتحفني برؤية صفين من أسنانه الصفراء وهو يقول:
- أصبحت تشبه أبناء عالمنا كثيرًا هذه الملابس تليق بك.
- متشكر.
اقترب مني قليلًا حتى أصبح وجهه مقابل وجهي مباشرة ثم همس قائلًا:
- أغمض عينيك.
- بقولك إيه أنا مش مطمنلك انت عاوز إيه؟!
- سنرحل الآن فقط أغمض عينيك.
أغمضت عيني فشعرت باهتزازة شديدة أسفل قدمي حاولت أن أفتح عيني فوضع يده بسرعة على عيني وهو يصرخ:
- لا تفعل ذلك مرة أخرى سنتوه بين العوالم.
شعرت بجسدي يهوي في الفضاء، انعدمت الجاذبيه، الهواء يحيطني من كل الاتجاهات رائحته مختلفة ساخن قليلًا أشعر بجسدي يصعد أحيانًا

.

ويهبط أحيانًا شعور جميل لم أشعر به من قبل أعتقد هو نفس شعور تلك اليمامة التي كنت دائمًا أتمنى لو أنني مكانها فأجوب الأرض بجناحي الآن أفعل وبدون أجنحة شعرت بيده تقترب من يدي حتى أمسكها بشدو وهو يتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة لي متزامنة مع هبوط شعرت به حتى غبت عن الوعي.

- سيد خالد.. سيد خالد.

سمعت ذلك الصوت فحاولت فتح عيني ولكن صداع شديد اجتاح رأسي يمنعني من فعل ذلك فقلت بتثاقل:

- أنا فين مش قادر أستحمل الصداع!

- لا تقلق سيدي نحن وصلنا إلى ممكلة الجنوب سيزول الصداع قريبًا.

أمسكت رأسي بكلتا يدي ثم حاولت فتح عيني فرأيت ثلاث رؤوس بستة أعين تنظر لي فنهضت مفزوعا:

- بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ في إيه!

لا تقلق يا سيد خالد هذا الملك آجات وهذا الوزير جوطاب وأنا تعرفني جيدًا.

- أهلا بك أيها المختار سعيد لقبولك طلبنا وإتمام العهد.

نظرت باتجاه المتحدث فوجدته شابا في منتصف الثلاثينات بشرته بيضاء مشدودة وعيناه متيقظتان مملوئتان بالثقة تبدو الصحة على وجهه شعره شديد السواد منسدل على كتفيه يتناغم مع لحيته التي تزين وجهه طويل القامة بجسد يليق عليه لقب فارس.

- يبدو عليك التعب سنتركك لتنال قسطًا من الراحة...

قالها الملك بهدوء وابتسامة خفيفة تزيد من ثقته بنفسه.

.

جلست في مكاني وأنا أمسح وجهي بيدي وقد شعرت بأن الصداع بدأ يخف تدريجيًا فلاحقته قائلا:
- لا لا أنا كويس ممكن أعرف إيه هو العهد ولا إيه المطلوب مني؟
- ستعرف كل شيء في وقته المناسب لا تهلك عقلك بكثرة الأسئلة مازال أمامك الكثير هنا لتكون مستعدا لفهم ما سأخبرك به.
قالها الملك ثم همَّ بالخروج ثم تبعه مهلابيل والرجل الآخر الذي لم ينبس بكلمة فقط نظرات تتبع يشوبها الفضول.
وجدث نفسي وحيدًا في غرفة تبدو كقطعة أثرية بابها خشبي به شرائط حديدية بطول الباب جدرانها من الحجر الجبلي في ركنها سرير نحاسي لامع وعلى الجانب الآخر دولاب خشبي بجانبه شباك تنسدل عليه ستائر حريرية بيضاء اللون ترفرف في تناغم مع أصوات العصافير في الخارج في منتصف الغرفة توجد رقعة كبيرة من الجلد تغطي أرضيتها الرخامية وبجانب الباب توجد مرآة طويلة تقدمت خطوتين حتى وقفت أمامها أنظر لنفسي كنت قد نسيت أمر ذلك الزي الغريب الذي أرتديه وجهي يبدو نضرًا.
- هل أنت على صواب فيما فعلت؟
- نعم لم يعد لي حاجة بعالمي هناك.
- إنك ضعيف آثرت الهروب من عالمك لتواجه المخاوف في عالم آخر.
- على الأقل ستكون تجربة تستحق المجازفة.
- هل أنت متأكد أنها ستكون مجرد تجربة أم أنك تضع حياتك فريسة لأناس مجهولين؟
- أيا يكن حياتي لم تعد لها فائدة.
- من قال هذا طالما لازالت تزفر أنفاسًا فقيمتك موجودة.

.

- ماذا تريد الآن؟!
- سنهلك.
- لا بل سأهلك.
- أنا منك وأنت أنا.
- لا حاجة لي بأحد حتى لو كنت أنت هو أنا.
- ستفني حياتنا في قضاء رغبات أقوام لا علم لنا بماهيتهم.
- هي حياتي أنا فقط أسيّرها كما أشاء.
- قلت لك إننا واحد.

طرق الباب معلنًا انتهاء الحوار ارتعش جسدي فانتبهت لمكاني مازلت وافقًا أمام المرآة. طرق الباب مرة أخرى فقلت بصوت متقطع لم يخلُ من الشرود:

- ادخل.. ادخل.
- دخل مهلابيل باتسامته المعتادة ضامًا يديه إلى جنبيه.
- سيد خالد يسألك الملك آجات لو كنت ستنضم إليه لتناول العشاء.
- جاي في وقتك دا أنا واقع من الجوع وبعدين عشا ايه أنا لسه متغدتش.
- مما يعني؟
- يعني سأتناول ياعم يلا بينا.

أدار وجهه بهدوءٍ حذر فتبعته إلى خارج الغرفة سرنا في ممر طويل تزينه على الجانبين مصابيح حديدية معلقة بانتظام حوائطها حجرية عبرنا من باب موجود في اليمين يؤدي إلى ممر آخر ثم باب آخر على اليسار لممر جديد فقلت مازحا:

- يا عم أنا على ما أرجع هكون جوعت انت مرجعني مصر تاني ولا إيه!

.

- ضحك مهلابيل ضحكة عالية رن صداها في أرجاء المكان مما أثار بعض الرعب بداخلي لم يكد ينتهي منها حتى قال:
- لقد وصلنا سيدي.
قالها وهو يقف أمام باب ويمد يده بإشارة منه للدخول دلفت إلى بهو كبير يعج بالأرائك والحشيات سقفه مليء بالمصابيح المعلقة تتدلى منها سلاسل حديدية جدرانها تبدو زرقاء قاتمة أو هكذا خيل لي تتوسطها نوافذ عريضة عالية تنسدل عليها ستائر ذهبية اللون، يوجد في أقصى اليسار سلم دائري يربط البهو بالطابق الذي يليه وفي المنتصف منضدة خشبية كبيرة يلتف حولها اثنا عشر كرسيا بظهور طويلة أرضيته من الرخام الأحمر والذي لم أرَ مثله من قبل.
- شكرًا لك مرة ثانية لقبولك دعوتنا أيها المختار.
حاولت أن أخفي انتفاضة جسدي بسبب ذلك الصوت الذي أخرجني من تأملي كان الصوت مختلطًا بصوت أقدام تهبط من أعلى الدرج عرفته من صوته وهدوئه المفرط فيه في الكلام الملك آجات ولكن هذه المرة بدون تاج على رأسه ويرتدي عباءة واسعة بيضاء اللون صمتت وتنهدت بعمق دون أن أنبس بكلمة، اتجهنا إلى المنضدة فجلس على الكرسي الموجود على رأسها بينما جلست أنا على يمينه بعد لحظات من الصمت دخل علينا مهلابيل يحمل وعاءً كبيرا مليئا بالأرز عليه قطع من اللحم المشوي ثم خرج مرة أخرى ودخل يحمل وعاءً آخر به أطباق من الخضار كل أنواع الخضار بدأت أصوات معدتي الخاوية في الانطلاق احتفالًا بهدفها المنشود قال الملك آجات بهدوء وهو يشمر أكمام عباءته:
- هذا اللحم هو لحم الجمل الطعام المفضل لدي.

.

شرعت في الأكل بصمت ولكني انتبهت لعدم وجود ملاعق فانتظرت حتى بدأ الملك في الأكل بيديه ففعلت، فقط حفنة من الخضار أضعها على الأرز وأخلطهما بيدي ثم إلى فمي كان الطعام لذيذا جدًا وبمقارنة طفيفة بين طريقتي وطريقة الملك في تناول الطعام سأجد نفسي شخصا مقززا لأبعد حد فبمقدار ما دخل معدتي من الطعام أسقطت مثله على المنضدة و على الأرض وقفت للحظات أشعر بالخجل لهذه الفوضى فأشار لي الملك برأسه مبتسمًا فأكملت..وانتهينا من تناول الطعام فنظر الملك لمهلابيل الذي يقف على باب البهو فتحرك نحو إبريق نحاسي موجود بجانب الباب ورفعه ليصب للملك فاغتسل وكذلك فعلت أنا ثم اتجهنا إلى مكان آخر في البهو به وسادات موضوعة على شكل حلقة دائرية وفي الوسط توجد منضدة صغيرة مرتفعة عن الأرض قليلًا مرت لحظات من الصمت قبل أن أسأل الملك:

- هو مفيش غيرنا هنا.

- لا من المؤكد هناك آخرون.

- ليه مأكلوش معانا.

- لا أريد أن يراك أحد وعليك أن تعرف أن وجودك هنا سري للغاية وكل من ستقابله أو تتعامل معه سيكون بأمر مني لثقتي بهم.

دخل مهلابيل مرة أخرى حاملًا وعاءً عليه إبريق صغير وكوبان نحاسيان وفجأة رن في القصر صوت صراخ يأتي من الطابق العلوي فقام الملك من مكانه فجأة والذعر ظاهر على وجهه ثم قال بسرعة موجهًا كلامه لي:

- من فضلك عُد إلى غرفتك الآن ولا تخرج منها إلا بإذن مني.

ثم نظر إلى مهلابيل وقد هم بالمغادرة:

.

- اتبعني بسرعة.

شعرت ببرودة شديدة تسري بجسدي فقلت بارتباك:

استنى يا ملك.. طب يا هلابيل قولي على الطريق يا عم هو أنا ساحر عشان أعرف أرجع في المتاهة دي لوحدي.. هلابيل..

فجأة وجدت نفسي وحيدًا في ذلك البهو التفت يمينًا ويسارًا وصوت الصراخ لا ينقطع استطعت أن أحدد بعض الكلمات من ذلك الصوت الأنثوي (أبي.. أبي من فضلك لا تمت لا تتركني) وبعض الكلمات الأخرى غير المفهومة فتملكني الرعب فقمت بسرعة أحاول العودة إلى غرفتي من ممر إلى ممر مشابه ومن باب إلى آخر ولكن في لحظة ما علمت أنني قد ضللت الطريق لأني لم أمر بذلك الممر المكتوب على جدرانه بالدم كلمات غريبة ومرسوم عليه رسومات مرعبة التفتُّ فوجدت من ينظر إلى ووجهه في وجهي هامسا:

- كيف جئت إلى هنا.

وبسرعة شعرت بالأدرينالين يرتفع في رأسي تخدرت أطرافي قبل أن أسقط مغشيًا عليّ.

- سيدي سيدي لا تقلق إنه أنا.

فتحت عيني ببطء فوجدتني ممددًا على السرير في الغرفة المخصصة لي ومهلابيل يقف عند رأسي يحاول إفاقتي فجلست وأنا أتحدث بسرعة قائلا:

- الحق في عفريت شوفته هناك عن الممر اللي فيه الدم.

- لا سيدي أنا من كان هناك لماذا كل هذا الفزع؟!

أخذت نفسًا عميقًا ثم أخرجته ببطء وأنا بداخلي أسبه بكل الألفاظ التي عرفتها في حياتي.

.

- هل أنت بخير الآن سيدي؟

يعني أكيد جالي شوية اضطراب نفسي وتخلف وقطعت الخلف.

- مما يعني؟

يعني بخير يا عم بخير... صحيح مين اللي كانت بتصرخ فوق دي وكلكم طلعتولها؟

- لم آخذ أمرا من الملك أن أخبرك.

- ماتقلقش مش هقول لحد.

- لا سيدي هذا مخالف لأوامر الملك.

- قول ياعم مش احنا أصدقاء.

- هذا شرف لي.

- طيب قول بقا.

- حسنًا ولكن الأمر لابد وأن يظل سرا بيننا.

- حسنًا يا عم قول بقا.

- سأقول لك مختصرا فقط.. الملكة أوبال أخت الملك آجات في العشرين من عمرها فقدت أباها وحبيبها في المعركة الأخيرة ضد جيش مملكة الشمال أصابها صرع فور سماعها ذاك الخبر لم يستطع أحد من السحرة أو العرافين معالجتها ومنذ حينها لا تفعل شيئا سوى الصراخ ثم تعطيها الممرضة بعض الأدوية المهدئة فتنام لتستيقظ مرة أخرى لتصرخ.

- سبحان الله اللي يشوف بلاوي الناس تهون عليه بلوته عالعموم البقاء لله.

- مما يعني؟

.

- يعني اطلع برة عاوز أستريح واسمعني حاجتين ماتعملهمش طول ما أنا موجود هنا.. الأولى ما تمشيش ورايا لأن انت أصلا شكلك مرعب لوحده.. والتانية ماتقولش كلمة مما يعني دي نهائي.
- أمرك سيد خالد وأتمنى ألا تخبر أحدًا بمعرفتك أمر الملكة أوبال.
- حاضر مش هخبر حد يلا بقا عاوز أنام.
- أستأذنك سيدي.

خرج مهلابيل بينما جلست أفكر في أمر تلك الملكة أشعر بفضول شديد يتملكني لمعرفة المزيد عنها عن حالتها ملامحها جرحها ذلك الذي اتهموه بالسحر كلا فقد ظلموا السحر بل وأعطوه أكبر من شأنه إنه شيء أقوي من السحر الأسود والأبيض والسحر الذي لم يعرف بعد فالسحر يعالج أما الفراق فلا علاج له ولا شفاء منه نفارق شخصًا فيأخذ منا شيئًا أو يترك لنا شيئًا في كلتا الحالتين تنتفض أرواحنا وتنوح جوارحنا بمقدار كل ذكرى له في قلوبنا أي سحر يفعل هذا إذا أردت العيش فلا تصاحب ولا تحب هذا هو قانون بقاء الروح التي تفنى ولا تستحدث بعد الفراق...

نمت تلك الليلة كمن لم ينم منذ شهور لم أشعر بأي شيء حولي فقط بعض أضعاث أحلام جمعت بين والدتي بلباسها الأبيض ونعمة بوجهها الضاحك والملك بهدوئه وأخته التي لم أرها ولكني رأيتها في حلمي بملامح غير واضحة تمد يدها لي وتصرخ كانت هي الجزء المرعب في الحلم ورغم ذلك لم أستيقظ ولم أفزع سوى من صوت ذلك الطرق الشديد على باب الغرفة قمت أهرول في أنحاء الغرفة كمن تلقى لتوه ضربة على رأسه ثم انتبهت لمكاني ومصدر الصوت أيضا جذبت من صدري تنهيدة عميقة.

.

- مين؟ مين؟
- إنه أنا مهلابيل يا سيدي هل أزعجتك؟
ضغطت بأسناني على شفتي السفلي كم أتمنى تحطيم رأس ذلك الشخص.
- لا يا عم هلابيل مأزعجتنيش ولا حاجة عاوز إيه؟
- الملك ينظرك في الخارج.
- طيب هغير بقا وأجيلك.. هتموتني مشلول يا بعيد.
- فتساءل بصوت رخيم:
- بما يعني.
- يا سلام لا ما شاء الله مبتكر.. انتظر سآتي إليك.
اتجهت إلى الدولاب لأبدل ملابسي كان مليئا بالملابس والأحذية ولكنه أيضًا به سيف ودرع.
- هلابيل الدرع والسيف دول بتوع مين؟
- ملكك سيدي.. هل انتهيت؟
- لازلت ألبس.
بدلت ملابسي واخترت حذاء يليق بها ثم وقفت أمام المرآة أهذب شعري.
- أرى أنك متحمس سعيد تنازلت عن ذكرياتك همومك حياتك كل شيء.
- من أنت وماذا تريد؟
- قلت لك قبل ذلك أنا هو أنت.
- وماذا تريد؟
- أريد أن أعرف لماذا جئت بنا هنا.
- هو اختياري أنا فقط.

.

- وماذا لو أدى بك هذا الاختيار لأن تقتل أحدًا هل ستفعل؟
- أنا لست قاتلًا.
- أنت لست أي شيء.. هل ترى أنك بمجرد ارتدائك لهذا الزي أصبحت فارسًا؟ أنت تائه بائس.
- أنا لست فارسًا ولا قاتلًا، أنا شخص عاش غريبا في زمنه، قرر أن يرحل ليشعر بقيمته ويساعد من يحتاج إليه.
- أنت لم تأتِ لاحتياجهم لك بل....
- نعم أنا من أحتاج إليهم أحتاج أن أكون ذا قيمة أن أفعل شيئًا في حياتي.
- وماذا لو مت؟
- لقد مت قبل ذلك ولكني هنا لأحيا لأشعر بهذا القلب ينبض.
- غباؤك يدفعك دفعًا إلى نهايتك.

طرق باب الغرفة فانتفض جسدي وشعرت بصداع خفيف مر برأسي ثم اختفى واختفى معه ذلك الصوت الغريب الذي لا أعرف هل هو صوت موجود بداخلي أم أنا صوت موجود بداخل شخص آخر هل هو من اقتحم عالمي أم أن المقتحم لماذا هو دائم المعارضة لي لماذا أتحدث مثله من الأصل هل لو انتهت حياتي سينتهي هو أم نهايتي مقرونة بنهايته هو.

- سيدي.. الملك بانتظارنا لقد تأخرنا عليه كثيرًا.

قلت شاردًا بصوت متقطع:

- حاضر.

.

خرجت أسير خلف مهلابيل أحاول في هذه المرة حفظ الطريق المؤدي إلى بهو القصر. كان الملك آجات في انتظارنا ممتعض الوجهه فيبدو أننا تأخرنا عليه كثيرًا ما أن رآني حتى قال محاولا إخفاء امتعاضه:

- كيف حالك يا سيد خالد.

- أنا بخير بعتذر عشان تأخرت عليك.

- لا بأس سنخرج في جولة لأنحاء المدينة نتفقد أحوال الشعب عن قرب.

أشار لمهلابيل فتحرك إلى خارج القصر.

نظر الملك باتجاهي وقال بنبرة باردة:

- اسمعني جيدًا سيد خالد أنت غريب مازال أمامك الكثير لتظهر كفرد من أفراد المملكة فلا تتحدث مع أحد ولا تسِرْ بمفردك أبدًا فبمجرد أن تتحدث مع أي شخص سينكشف أمرك وسيعلم الجميع بأنك غريب.

أومأت له برأسي فجدية حديثه بثت الخوف بداخلي شعرت وكأني ذاهب في مهمة ليست مجرد جولة.

عاد مهلابيل قائلا بصوت خفيض:

- العربة جاهزة وبانتظارك سيدي.

خرج الملك فتبعته أغمضت عيني بمجرد ملامسة أشعة الشمس لوجهي فكانت هذه أول مرة منذ قدومي إلى هنا أرى الشمس فتحت عيني ببطء بعد لحظات فرأيت تفاصيل القصر من الخارج تحيطه حديقة كبيرة مليئة بالأشجار والزهور موزعة بانتظام بألوانها المختلفة تتراقص في تناغم تبدو وكأنها تتمايل عشقًا فتنتشي لرائحتها ولونها البديع يشقها طريق طويل من الحجر يؤدي إلى خارج سور القصر العالي المبني من الحجر كان يبدو مهولًا شامخًا كشموخ أسوار عكا أفقت من شرودي على

.

صوت صهيل الخيل المربوط بمقدمة عربة مغطاة بالخشب المطلي باللون الأسود بها فتحتان في كل جنب للتهوية جلست بجانب الملك وأغلقت الباب فضرب مهلابيل الذي يجلس بين العربة و الحصان بالسوط أرضا فتحركت العربة قال الملك وهو ينظر من خلال الفتحة إلى الطريق:

- أتمنى أن تكون سعيدًا بوجودك معنا سيد خالد.

- أكيد سعيد انتو ناس طيبين وأصحاب واجب بس ممكن تكلمني عن المهمة اللي جيت هنا عشانها.

- لن أتكلم معك في أي شيء يخص وجودك هنا إلا بعد أن أقتنع أنك أصبحت فردا من أفراد المملكة بل وأفضل منهم.

- مش فاهم.

- لا أفهمك.. هي تقال هكذا.. لغتك لابد أن تكن مثل لغتنا طريقة تفكيرك أن تتقن الفروسية وسأختبر ذلك بنفسي.

- ازاي؟

- كيف.. نحن ننطقها هكذا ستتعلم الفروسية وأنا من سيحدد عندما تكون جاهزا وأيضا لغتك لابد وأن تتحسن.

- يا ملك انت بتتكلم لغة عربية فصحى يعني لغة سهلة بعرف أتكلم...

قاطعني قائلا بتحدي:

- انطقها بلغتنا.

- أيها الملك أنتم تتكلمون لغة عربية فصحى يعني لغةُ سهلةَ سوف أعرف أتحدثها.

تبادلنا النظرات في حين علا الاضطراب وجهي شعرت وكأنه يصرخ بداخله قائلا: ليتني لم أطلب ذلك.

.

توقفت العربة فجأة فنظر لي الملك قائلًا:
- هيا بنا وتذكر جيدًا لا تتحدث مع أحد مهما حدث.
أومأت برأسي بدون أن أنبس بكلمة لأطمئنه بأني لن أفعل.
ترجل الملك من العربة وأنا من ورائه كان المكان مزدحما بالمارة ومليئا بدكاكين ينادي أصحابها على بضاعتهم بصوت جهوري يبدو أنه سوق كبير كان الملفت بالنسبة لي هو أن كل من يمر بجانب الملك يحييه دون خوف ودون أي تجمل وكأنه شيء طبيعي أن يكون ملكهم بينهم دخل الملك آجات إلى أحد الدكاكين المختصة ببيع العطور فابتسم صاحب الدكان واتسعت عيناه حتى اكتملت هلالها وهو يتقدم ناحية الملك فظهرت ابتسامة خفيفة على وجهه أيضًا تدل على الود المتبادل بينهم فهمست إلى مهلابيل:
- مين الراجل دا؟
هذا صديق الملك آجات منذ الطفولة وأيضا أحد أفراد الجيش.
- صديق الملك بيشتغل في محل عطور وفي الجيش!
- وما علاقة هذا بذاك؟
- لا مفيش علاقة ولا حاجة.
أشار الملك نحوي وهو يتحدث مع ذلك الرجل ثم بعد لحظات أومأ لي برأسه فتقدمت نحوه فقال الرجل:
- إذن أنت الغريب.
نظرت باتجاه الملك آجات فقال:
- هذا صديقي آزار وكاتم أسراري أيضًا.
- أهلا بيك يا أزار.

.

نظر لي ببرود غير مبرر دون أن ينبس بكلمة ثم قال موجها كلامه للملك آجات:
- من فضلك يا آجات أريد أن أتحدث إليك.
- تفضل يا آزار.
لا بمفردنا.. بمفردنا يا آجات (كررها وهو ينظر لي بنفس النظرة الباردة).
حاولت أن أبادله نفس النظرة لم أستطع فيبدو أنني ليست لدي الجرأة الكافية في هذا العالم لأظهر أي تعبيرات فخرجت نظرة انكسار رغما عني فتراجعت من مكاني أنا ومهلابيل ثم وقفنا بجانب العربة.
- هو ماله شايف نفسه ليه كدا؟
- بما يعني؟
- اسكت يا هلابيل.
- لا تغضب سيد خالد فآزار رجل طيب القلب وهو أكثر من مجرد صديق للملك.
- طيب القلب؟ ماظنش.
في تلك اللحظة أشار الملك لمهلابيل فذهب إليه ثم عاد قائلا بنبرة ترجٍّ:
- سأذهب لأبتاع بعض الأغراض من فضلك لا تتحرك.
وجدت نفسي وحيدًا في مكان مزدحم، تبًا للفضول الذي دائما يغلبني تحركت فقط خطوتين حتى وقفت أمام دكان صغير مدفون وسط مجموعة كبيرة من الدكاكين بداخله رجل عجوز يجلس أمام قطعة كبيرة من الجلد ينفضها بإحكام بضربات متتالية بجانب هذا الدكان شارع طويل وعلى جانبيه عدد كبير من الدكاكين المتراصة الكل مشغول في عمله الكل منتظم الباعة والمشترون لاحظت بأن الأماكن المزدحمة يقف

.

المشترون بها صفوفًا تتقدمهم الرجال الطاعنين في السن تليهم النساء ثم الرجال الكل ينتظر بدون حنق كم أحب النظام لكنني متأكد بأنني لن ألتزم بالصفوف هذه إن سنحت لي الفرصة في نهاية الشارع يقف شاب طويل قمحي البشرة أفطس الأنف شعره مجعد طويل منسدل على كتفيه لحيته أكثر شيء مهندم في منظره المبعثر يقف أمام دكان صغير وحيدًا ما إن تمر امرأة من أمامه حتى تسرع من خطوتها فاقتربت منه قليلا لعلي أسمع ما يتمتم به انتظرت دقائق حتى مرت فتاة من أمامنا فلاحت ابتسامة خفيفة على وجهه وهو يقول:

- سيدتي تعالي عندي ثوب جديد سيظهر تفاصيل هذا الجسد البائس.

فأسرعت الشابة من خطوتها فاتسعت ابتسامته فنظر باتجاهي قائلا:

- الصراحة دائما تدفعنا للهروب أليس هذا صحيحًا يا صديقي؟

نظرت حولي فلم أجد غيري فتقدمت خطوتين ناحيته أرمقه بنظرة حادة قبل أن أقول:

- صحيح ولكن في أشخاص مش من حقهم إنهم يتدخلوا في حياتنا.

- أنا لا أفهمك.

- ثواني بس هجمع الجملة... كلامك صحيح ولكن من أعطاك الحق في المصارحة أنت جعلت نفسك قاضيًا ترمي الناس اللي بتمر بكلام يجرحهم.

- من أنت؟

- أنا خالد.

فقال رافعا حاجبه الأيمن:

- كاذب لا يوجد خالدين في عالمنا!

- اسمي خالد.

.

- إذن الكاذب هو من سماك عندما تراه أخبره بذلك.
- وأنت ما اسمك؟
- سيلوت.. ولا تفكر كثيرا ليس له معنى.
فجأة تصاعدت غبرة مرقت منها عربة توقفت أمامنا مباشرة ترجل منها ثلاثة جنود مهرولين إلى سيلوت قال أحدهم بنبرة حازمة:
- أنت مقبوض عليك بتهمة سب زوجة وزير.
رد عليه سيلوت ببرود لا يتناسب مع حدة الموقف:
- أنا لم أسبها فقط أخبرتها بأنها لو ابتاعت إحدى هذه الفساتين ستتحول من مجرد قردة في نظر الوزير إلى قردة جميلة.
- اخرس اقبضوا عليه!
نظر باتجاهي هامسا:
- سلام يا صديقي سأراك بعد أسبوعي حبس وثلاثة أيام للراحة.
لم أستطع قول شيء لوحت له بيدي مع ابتسامة انتزعها مني كأنه يقول (تبًا لكم جميعًا) فرددت عليه بابتسامتي (تبًا للحياة).
- سيد خالد..
جاء الصوت من على بعد خطوات مني فانتفض جسدي وبسرعة نظرت باتجاه الصوت ولكن عقلي كان أسرع مني علمت أنه الملك وأعلم بأنني أغضبته ولم أوفِ بوعدي صعدت العربة بجانبه فضرب مهلابيل الجواد بالسوط فتحركت العربة والملك ينظر بعيدًا.
- أنا آسف...
- من فضلك يا سيد خالد لا أريد أن أتحدث الآن.
- بس أنا مكنش قصدي.

.

- لم تقصد ماذا بالتحديد، سيرك وحيدًا في المدينة أم حديثك مع ذلك الشخص الذي وبكل تأكيد علم أنك غريب.
- لا معلمش دا لسه بتكلم معاه اتشد؟
- ماذا؟
- اتشد يعني اتقفش.

نظر الملك مرة أخرى بعيدًا فكان الصمت هو سيد الموقف حتى وصلنا إلى القصر دلف الملك وأنا وراءه نظر باتجاهي وقبل أن يتحدث سمعنا صوت ذلك الصراخ من الطابق العلوي فهرول الملك بسرعة فوقفت لحظات لا أعلم ماذا أفعل... نعم إنه الفضول مرة أخرى صعدت الدرج ببطء حتى وصلت للطابق العلوي المليء بالغرف دخلت الغرفة التي يأتي منها ذلك الصوت وقفت أمام سرير نحاسي يلمع مع أشعة الشمس المتسللة من الخارج مكسو بحرير أبيض اللون تنام عليه فتاة بيضاء كلون الحرير وشعرها ذهبي كلون الشمس ترتجف فتنزف دموعًا من عينيها الخضراوين والملك يجثو على ركبته بجوارها ويسمح بيده على رأسها ويتمتم ببعض الكلمات نظرت باتجاهي فارتعش جسدي بمجرد أن التقت عيني بعينها شعرت وكأنها ابتسمت ابتسامة عابرة كنسمة هواء في ظهر شديد الحرارة وفجأة التفت لي الملك آجات.

- خالد ما الذي جاء بك إلى هنا من سمح لك بالدخول؟!

كانت هذه أول مرة ينطق اسمي بدون أن يسبقه بكلمة سيد وكذلك أول مرة أراه غاضبًا لمحت في عينيه كل معاني الغضب.

- آسف بس حبيت أساعد.

من فضلك عد إلى غرفتك الآن..

.

قالها بنرة غاضبة وأمر قاطع يجب الامتثال إليه.. دخلت غرفتي والغضب يتملكني بعد طريقة الملك الفجة في الحديث معي لكن كان هناك شيء في قلبي يشعرني بالراحة مجرد شيء لا أعلم هل هو شعور أم نقطة نور أضاءت في جنبات قلبي المظلمة تمددت على سريري شاردًا أتذكر ملامحها الطفولية ونظرتها الهادئة يا لها من مسكينة فقدت أباها وحبيبها في يوم واحد صدرت ضحكة لم أستطع كتمها ضحكة سخرية من نفسي أأشفق عليها من حال كحالي نحن الاثنان مساكين.

- كيف حالك أيها المسكين؟

- يا لك من ضيف ثقيل ماذا تريد؟

- أنا! لا أريد شيئا وصدقني لست ضيفًا أنا الأصل الثاني وأنا وأنت نصفين يكتمل بنا الكل.

- لا أفهمك أو بالأصح لا أريد أن أفهمك.

- لماذا تنكرني دائمًا؟

- لا أعلم من أنت.

- قلت إننا واحد عليك أن تتقبلني أنت المتحكم في كل حياتنا ولكن هل تظن بأنه يكفيك أن يكون معك العقل فقط لتقود حياتنا هل تظن بأن كل جوارح الإنسان تنصاع لأوامره دون اعتراض.

- إذن أنت لا ترضي بما أفعله الآن.

- نعم لم أكن أرضى ولكنك اخترت وحق عليّ أن أبقى معك ولكن علينا أن نتحدث ونفكر.

- أريد أن أراك.

- قف أمام المرآة وما تراه سيكون نحن نرى بعين واحدة نسمع بأذن واحدة نحن معًا.

.

- هل تريد إقناعي بأن داخل كل شخص شخصا آخر؟
- ليس شخصا آخر بل عالما مليئا بالأفكار بالمعلومات بالحكايات ملايين الأشياء بداخل كل شخص يتقاسمها مع روحه وعقله وقلبه.
- إذن ماذا تريد؟
- أردت فقط إخبارك بأنني معك وإن لم أكن مقتنعًا بفكرة المجيء إلى هنا ولكن الآن ما عليّ سوى التكاتف معك لنرى ما يخبئه لنا القدر.

فتحت عيني فوجدت بأن نور النهار قد بدأ في الانتشار.

- إيه دا حلم ولا ذنب دا ولا إيه باييني اتجننت بيقولك كل واحد جواه مش عارف مين بيعمل إيه.. أنا ناقص جنان.

في ذلك الوقت طرق مهلابيل الباب فقلت:

- أيوة نعم.
- سيدي هل تتحدث مع نفسك؟
- ادخل يا هلابيل عاوزك.

فتح مهلابيل الباب وبمجرد أن رأيت ضخامة جسده فكرت في العدول عن الحديث معه ولكني فعلت.

- بقولك يا هلابيل من غير لف ودوران ومما يعني والحاجات دي.. انت بتراقبني ولا إيه؟

هز هلابيل رأسه مما يدل على عدم فهمه.

- لا لا متعمليش هندي بقا هل تراقبني؟
- لا لم أفعل ولكني كنت أمر من أمام الـ....
- كداب هتمر منين دا أنا نايم في حتة مقطوعة.
- بصراحة سيدي جئت لأطمئن عليك بعدما علمت بصراخ الملك لك البارحة.

.

- قول كدا.. حبيبي يا هلابيل لا أنا تمام متقلقش قولي بقا هي أخت الملك دي كانت كويسة قبل ما أبوها وحبيبها يموتوا في الحرب؟
- نعم كانت بكل خير كانت طفلة في ثوب فتاة بالغة تملأ القصر بالمرح والضحك تداعب هذا وتعطف على ذاك لم يكن بقلبها شيء من التكبر لكونها بنت الملك كانت أقرب ما يكون إلينا كخدم أو شعب لم تستحق يومًا ما وصلت إليه الآن.
- سبحان الله كأنك بتوصفني أنا.. إيه دا هلابيل انت دمعت هو انت عندك غدد دمعية عادي زينا كدا؟
- نعم سيدي أنا شخص حساس للغاية.
- سبحان الله (ويخلق ما لا تعلمون).
- سيدي عليك الآن أن تذهب للملك وتعتذر له عما بدر منك البارحة.
- لا أنا مغلطتش يا هلابيل وبعدين مش من حقه إنه يكلمني كدا.
جلس مهلابيل بجانبي على طرف السرير ثم قال:
- اسمعني جيدًا يا سيد خالد أنت وعدت الملك بشيء وأخلفته ثم صعدت غرفة الملكة التي لا يدخلها أي شخص سوى الملك والطبيبة فقط لا تجادل أنت أخطأت مرتين قم الآن واذهب للملك عليك أن تمحو ما كتبته بقلبه أمس اجعله يشعر بالاطمئنان لك.
- ازاي يعني مش فاهم؟
- لغتك هذه اتركها بداخل هذه الغرفة بمجرد أن تخرج من هذا الباب تحدث بلغتنا نظرتك المتفقدة الفاحصة لكل شيء التي تُقسم بأنك غريب تخلَّ عنها وبدلها بنظرة ثقة نظرة تحدٍّ للأشياء المجهولة صدقني أنت أذكى بكثير مما أنت عليه الآن.
- هلابيل انت شايفني غبي؟

.

لا لست غبيًا ولكنك لست ذكيًا.. تقف مكانك خلف الستار تخاف من الدخول إلى المسرح تشعر بأن الأمر ليس هينًا ولكنه بسيط بسيط جدًا.
- تصدق يا هلابيل انت حمستني أوي كلامك صح أنا هخرج حالًا للملك وأكلمه باللغة العربية الفصحى هخليه ينسي إن أنا غريب أصلا.
- أتمنى ذلك سيدي..
قام مهلابيل من مكانه وهو يتمتم قائلًا:
- ولكني أشك في ذلك الأمر طالما تناديني هلابيل.
- بتقول حاجة يا هلابيل؟
- لا سيدي أدعو الله بأن تنجح في إقناع الملك.
- ماشي اسبقني انت يلا وأنا هحصلك.
بدلت ملابسي سريعًا ثم خرجت إلى بهو القصر فوجدت الملك يجلس على أحد الكراسي في أقصى اليمين ويتحدث مع شخص يقف أمامه انتظرت قليلًا حتى خرج ذلك الشخص ثم خطوت ناحيته.
- عمت صباحًا أيها الملك العزيز.
ضم الملك حاجبيه فعلمت بأن الجملة بها شيء خطأ فقلت:
- استنى بس استنى هجمع أهو.. كيف - حالك أيها الملك العزيز أتمنى أن تكون بخير.
- اجلس يا سيد خالد أنا بخير.
- متشكر.. أردت أن أعتذر لك بسبب ما حدث مني البارحة.
- لقد نسيت الأمر ولكن عليك أن تفي بوعدك بعد ذلك فانعدام الثقة بيننا سيكون بمثابة الموت لكلينا.
- لا تقلق يا سيدي سوف أكون عند حسن ظنك بعد ذلك.
- وأنا أعلم ذلك.. وسعيد أيضًا بمحاولتك للتحدث مثلنا.

.

- محاولة كل اللي قولته ومحاولة انت بتحبطني ليه!
ضحك الملك ضحكة خفيفة وهو يقول:
- لو لم تكن محاولة لما تخيلت عنها بسرعة هكذا.
- فعلا كلامك صحيح أكرر أسفي.. ها أخبرني متى ستكون المرة القادمة التي س.. استنى.. متى سنقوم كلانا بال...
- اليوم اليوم يا سيد خالد سنقوم بجولة ثانية.
- اه جولة هي دي.. حسنًا وأنا على أتم استعداد أيها الملك العزيز.
- حسنًا سنتقابل سأذهب الآن لأتابع بعض الأمور سأحضر بعد ساعة عليك أن تكون جاهزًا.
- حسنًا فلتصحبك السلامة.
خرج الملك ومعه مهلابيل فوجدت نفسي وحيدًا في القصر شعور غريب ما بين وحدتي وسعادتي وخوفي ماذا لو كنت أنا الملك ماذا لو أتيحت لي هذه الفرصة يومًا فحكمت شعبًا وملكت جيشًا أعتقد أني سأكون أفضل من جميع الملوك سأحكم شعبي بعدل لن أسمح لأحد أن يكون فقيرًا سيكون جيشي على أتم استعداد لن أعطي فرصه لأعدائي لأن ينعموا حتى في نومهم.. وجدت نفسي فجأة واقفًا أمام الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي شعرت بحاجز كبير شفاف يفصل بيني وبين الصعود أشعر بأن هذا الدرج وراءه سر كبير عالم خفي يحتاج من يقتحمه صعدت ببطء وأنا أشعر بأن كل درجة من درجاته تصرخ بي لا تفعل لا تفعل.. وصلت للطابق العلوي ثم إلى غرفة الملكة وقفت لحظات أراجع نفسي أحاول إثنائي عن قراري قبل أن أفتح الباب ببطء فزعت عندما رأيتها بثوبها الأبيض وشعرها الناعم منسدل على ظهرها تجلس على كرسي وتنظر من خلال الشرفة.. هل شعرت بي؟ هل عليّ أن

.

أدخل؟ ماذا أفعل الآن؟ تزاحمت الأسئلة في رأسي فرجعت خطوة للخلف وقبل أن أخرج سمعت صوتها لأول مرة وهي تقول:
- ادخل أيها الغريب.
سرت رعشة في جسدي بدأت من قدمي وانتهت في رأسي تلعثمت وأنا أقول:
- آسف أخطأت في الغرفة.
- لا لم تخطئ تعال لا تقلق لن أخبر الملك.
تقدمت قليلًا فأشارت بيدها قائلة:
- اجلس.
جلست حيث أشارت على كرسي موجود على يمينها.
- أهلا بك في عالمنا.. وأتمنى أن تكون سعيدًا معنا.
- أنا سعيد.
- ما كل هذا التلعثم والتوتر لا تقلق الحياة بدون مغامرات ليست حياة ما فعلته أنك تبعت فضولك وأطلقت العنان لجسدك فأتى بك هنا إذَنْ لا داعي للتوتر... ما اسمك؟
- خالد.. اسمي خالد.
- اسم جميل وصفة كاذبة.
- اه عندك حق فعلًا.
- هل تعلم أني رأيتك البارحة؟
- آه منا عارف وبعدين الملك زعقلي.
ضحكت الملكة ضحكة خفيفة وهي تقول:
- جميلة لغتك هذه يا خالد هل شعبكم كله يتحدث بها؟

.

- اه كل الشعب دي اللغة الرسمية في بلدنا اسمها (اللغة العامية) لكن لغتكم اسمها (لغة عربية فصحى) الاتنين شبه بعض.
- فهمتك.. ولا أريدك أن تغضب من الملك بسبب ما فعله البارحة هو لا يريد أن يراني أحد في هذه الحالة.
- لا مش زعلان ولا حاجة.
- شطرنج.
- نعم يا فندم!
- هل تلعب الشطرنج؟
- دي لعبتي أحسن واحد بيلعبها في منطقتنا بلعب الشطرنج اللي فيه مغناطيس من تحت دا عارفاه؟
ظلت الملكة تنظر لي لثوانٍ والابتسامة على وجهها مما أشعرني بالخجل ثم اتجهت إلى دولابها وأخرجت علبة كبيرة ووضعتها أمامنا.
- الله كل دا شطرنج دا العسكري قد جيشين من بتاعنا!
اختارت الملكة اللون الأبيض ثم بدأت بترتيبه وبدأت أنا في الترتيب أيضًا بعدما انتهينا قالت:
- من سيبدأ؟
- أنا اللي هبدأ.
- لا أنا من سيبدأ.
- بصي حضرتك مش فارقة بس يعني خليني أنا اللي أبدأ عشان حافظ حركة كدا.
- لا أنا من سيبدأ.
- طيب هقولك حاجة هنلعب لعبة اسمها حجر ورق مقص وهي هتحدد مين يبدأ اشطا؟

.

- لا أفهمك.

وصفت لها تلك اللعبة فأعجبت بها كثيرًا وكلما فاز أحدنا تكررها مرة أخرى فعلا كانت طفلة كما وصفها مهلابيل كنا نلعب ونتحدث تحدثت معها كما لم أفعل مع أي أحد منذ أن جئت إلى هذا العالم بدأت أحكي لها عن حياتي قبل أن أدخل هذا العالم.

- بس يا ملكة وبعد كدا مهلابيل جه أخدني وجيتلكم هنا.

- تمام.

- نعم! لا أرجوكي متتكلميش زيي متلقطيش مني أي حاجة.

- لا تقلق لن يعلم أحد اشطا؟

- اشطا كمان لا لن آتي مرة تانية.

- آسفة أعدك لن أتحدث بتلك الطريقة سوى معك أنت فقط.

- اتفقنا اسمها اتفقنا مش اشطا.. يلا هقوم أنا بقا أذهب للملك قالي هاجي بعد ساعة وعدا تلات ساعات.

- متى سأراك؟

- لا أعلم سيبيها بظروفها.

ابتسمت أوبال وهي تقول:

- أتمنى ألا يكون حظك في الشطرنج مثل حظك في تلك اللعبة.

- لا هو حظي في كل حاجة كدا أصلي واخده باكيدج يعني على بعضه..

أوبال كوني بخير واعلمي جيدًا مقدار تعلقك بشيء سيكون هو مقياس ألمك بعد فراقه كوني أنت الأولى في حياتك فلن تتركك يومًا وحين تفعل لن تشعري بأي شيء بعدها، كل ما حولنا زائل لا أحد باقٍ ولا شيء مستمر أعطِ لما حولك ربع اهتمامك ولنفسك الباقي..

.

- سأفعل.
خرجت من غرفتها فسمعت ذلك الصوت مجددًا.
- ما رأيك في تلك الكلمات اللتي أمليتك إياها؟
- شعرت بأنها تخرج من قلبي وصدقها عقلي.
- سنعيش حياة مثالية إذا اجتمع القلب والعقل عضوان ليس بينهما مسافة كبيرة لكنها أبعد شيئين عن بعضهما.
- فعلا كلامك صحيح.
هبطت إلى البهو ألتفت حولي فم أجد أحدا فكرت في الرجوع إلى غرفتي ولكن في تلك اللحظة دخل مهلابيل من باب القصر قائلًا:
- الملك ينتظرك في الخارج سيدي.
خرجت وراءه بينما بدأت بطني تتألم من الخوف ماذا لو علم الملك بأني تحدثت مع أوبال لن يكون عقابي أقل من القتل وأي قتل سيكون مهلابيل الضخم هو الفاعل. ركبت العربة بجانب الملك آجات فضرب مهلابيل الخيل بالسوط فتحركت العربة كنت أفكر في أوبال هذه الجوهرة ذات اللمعان المنطفئ والضحكة التي تخبرك بأن كل شيء سيكون بخير قطع شرودي صوت الملك وهو يقول:
- أول مرة أراها تضحك منذ موت والدنا.
توسعت عيناي وتمنيت أن يكون قصده أي شيء سوى ما يدور في عقلي.
- أشكرك على اختراق الأوامر وعلى جلوسك معها كم كنت أحتاج إلى رؤيتها وهي تتحدث و تضحك.
- هل علمت ب...

.

- نعم لو لم أقدر على معرفة ما يدور في قصري فلن أقدر على حكم مملكة كهذه.
- إذن أنت لست غاضبًا؟
- في الحقيقة كنت غاضبا منك ولو كنت رأيت أوبال حزينة بسببك هل تعلم ماذا كنت سأفعل صدقني كنت سأمزقك والأمر الثاني تحسن لغتك شيئا ما هذا كل ما تحتاجه لمهمتك فلا يختلف شعب عن آخر كل الشعوب واحدة فقط لغتهم وطريقة تعبيرهم السعادة واحدة والحزن واحد خاسري الحرب يشعرون بنفس الشعور والمنتصرين كذلك الخير خير عندك وعند عدوك والشر شر الدموع تذرف واليد ترفع والرؤوس تنحني لنفس الأسباب فمن حاول إقناعك يومًا بأن شعبه الأرقى فاعلم بأنه الأدنى فالمظاهر لا تعبر عن الرقي بل العقول والعاقل لا يمدح نفسه.
- ما شاء الله كلامك حكم والله.
- خالد لغتك من فضلك لا تقلقني.
- لا تقلق أيها الملك فقط أحتاج لبعض الوقت ولكن إلى الآن لا أعرف ما هي المهمة التي جئت لأجلها.
- عندما تجد نفسك لم تعد تحتاج للوقت سأخبرك بها.
- حسنًا.. ماتيجي أعلمك لعبة ورقة حجر مقص؟
توقفت العربة فقال الملك:
- نحن الآن في الجزء المخصص للزراعة كل الأشخاص هنا فلاحون فإياك أن تتهاون بذكائهم فهم المسايرون للطبيعة الأدرى بكل حبة رمل في هذه المملكة.

.

هبط الملك من العربة فتبعته أنا ومهلابيل لم يشغل الفلاحون أنفسهم بوجود الملك استمروا في العمل أخذت نفسًا عميقًا فامتلأ صدري بذلك الهواء النقي الذي يحمل معه رطوبة التربة ورائحة الثمر. الملك يمشي بهدوء ومهلابيل خلفه وأنا أحاول أن أمسك نفسي عن قطف ثمرة المانجو التي تلمع مع أشعة الشمس أبطأت من حركتي رويدًا رويدًا حتى سبقوني بعدة أمتار فأسرعت إلى الثمرة التي كانت بحجم يدي وبدأت في التهامها وفجأة نظر الملك خلفه فيبدو أنه كان يحادثني ولم أرد عليه وضعت الثمرة خلف ظهري ووجهي كله مغطى بآثار المانجو فأطلق الملك ضحكة عالية أقسم لكم أني رأيت العصافير تغرد وتحلق كأنها تحتفل بتلك الضحكة أشار لي الملك فتبعته ووجهي في الأرض من شدة الإحراج.. مرت ساعات بين السير والجلوس وحديث الملك مع الفلاحين ثم عدنا قبل غروب الشمس بدقائق فقال الملك وهو ينظر إلى الشمس:

- هل ترى ذلك اللون الأحمر القاتم في السماء أراه منذ صغري وكأن الظلام ينتزع الشمس فتأبى أن تذهب فيطغى الظلام ثم تعود الشمس مرة آخر بكامل قوتها هذه هي حياتنا سنجبر في وقت ما على التراجع ولكن سنعود مرة أخرى وأيضًا عودتنا لن تستمر التقلبات هي أساس الحياة الخير والشر معًا يتصارعون والنهار والليل يتناوبون.

- والشتا والحر برضه بيتبادلون.

- ماذا؟

- لا بحاول أساعدك يعني في الحوار.

- تساعدني ! لقد أفسدت اللحظة.

- متأسف أردت أن أشارك فقط.

.

توقفت العربة أمام القصر فنزل الملك بينما جلست أداعب مهلابيل وفجأة سمعت ذلك الصوت الذي أصبحت أعتاده أوبال تصرخ من جديد أسرع الملك وأنا وراءه ومهلابيل فقال الملك لمهلابيل:

- أحضر الدواء بسرعة.

ثم رمقني بطرف عينه دون أن ينبس بكلمة ترددت للحظات قبل أن أدخل خلف الملك إلى الغرفة كانت نائمة جسدها مشدود كمن صعقه تيار كهربائي لا تستطيع التحرك فقط تصرخ أبي أبي ولكن هذه المرة سمعت ما لم أسمعه من قبل (سامحني سامحني يا أبي من فضلك) توسعت عيناي وشعرت بالأدرينالين يتدفق في رأسي هل كانت السبب في قتل والدها كيف ذلك؟ وماذا عن حبيبها؟ أسئلة كثيرة بدأت تغزو رأسي بينما هي في صراخ متواصل تقدمت إليها ببطء خوفًا من أن ينهرني الملك لكنه لم يفعل جثوت على ركبتي ثم همست في أذنها:

- أوبال كوني قوية أنتِ ابنة ملك وأخت ملك القوة تكمن بداخلك لا تستسلمي لأي ضعف مازالت أمامك حياة إما أن تتغلبي عليها أو تحولك إلى رفات على قيد الحياة كلنا أخطأنا وسنخطئ ولن نتوقف هذه سنة الحياة.

توقفت أوبال عن الهمهمة وفتحت عينيها ببطء وماتزال الدموع تذرف كلآلئ تهرب من صدفاتها نظرت لي وهي تقول:

- ذنبي أثقل من أن يتحمله بشر أترى لو كنت سببًا في موت أقرب الأشخاص إليك هل ستحاول أن تنسى هل لك الحق في الحياة..!

نظرت للملك فأومأ لي برأسه فأكملت حديثي:

- وهل نحن إلا أدوات يستعملها القدر لتنفيذ ما يخططه ما حدث كان سيحدث بألف طريقة هوني على نفسك ولا تتحملي أكبر من طاقتك

.

فنحن بشر نستطيع أن نقف مجددًا ونغير ما أفسدناه حتى لا تدب جذوره في الأرض ويصبح غير قابل للتغيير.
- يا ليتني لم أولد ليتني كنت حبة رمل في الصحراء مر عليها بخيله أو ورقة شجر استظل بها يومًا ليتني كنت قطرة ماء ارتوى بها أبي فتمنعه من الموت أو سهم أطلقه في قلب ذلك الخائن ليتني كنت أي شيء فلا أستحق لقب ابنتك يا أبي.
- وماذا لو كنتِ سهمًا في يد عدوه أو حبة رمل أغرقتها دماؤه نحن علينا أن نقبل أنفسنا ونغيرها ونستمر في ذلك إلى أن نرضى وحين نرضى سنؤمن وإن آمنا سنقوى ونرى كل شيء حولنا على حقيقته.
- هل سيسامحني؟
- ولمَ لا بل سيكون أشد حزنًا الآن لما أنتِ فيه لو كان بيده لجاء إليك وضمك إلى صدره وقال لك: (كفي عن البكاء فأنا لا أحب أن تبكي أميرتي).
- حسنًا لن أبكي يا أبي وأقسم لك أني من سيثأر لك.
ظلت تهمهم بكلمات غير مفهومة إلى أن غطت في نوم عميق فأشار لي الملك أن أتبعه فخرجنا بهدوء حتى لا تستيقظ هبطنا إلى البهو فقال لي الملك:
- أشكرك سيد خالد كلامك جعلها هادئة بدون أي أدوية.
- من فضلك أريد الآن أن أفهم كل شيء وأريد أن أعرف مهمتي التي جئت لأجلها.
- قريبًا جدًا ستعرف كل شيء أعدك بذلك ولكن ينقصك شيء أخير.
- ما هو؟

.

- أن تتدرب على القتال بالسيف غدًا سنبدأ في الصباح أنا من سيقوم بتدريبك.
- لا لا استنى يا عم قتال إيه ومين دا اللي يمسك سيف انت فاهمني غلط خالص أنا لو حد طلع عليا بسنجة هديله السيف والرمح والهدوم اللي لابسها كمان.
- مهمتك تحتاج إلى فارس شجاع.
- انت أكيد مسألتش عليا قبل ما آجي.
- لا أنت الوحيد القادر على القيام بتلك المهمة.
- لا بص أنا هرجع تاني وانت شوف واحد قلبه ميت أو أقولك هبعتلك أنا واحد أعرفه هيخلصلك الحوار دا في ساعتين سلامو عليكم.
- والدك هناك.

سرت رعشة في جسدي وشعرت بأني تلقيت ضربة في منتصف رأسي.

- مين؟
- نعم والدك كان هنا منذ أكثر من عشرين عامًا ولكنه محبوس هناك في المملكة الشمالية لقد فشلت مهمته وقُبض عليه، منذ أن أحضره والدي لم أره سوى مرة واحدة كنت صغيرًا وكانت آخر مرة يراه والدي أيضًا كان رجلا شجاعًا لا يخاف الموت ولكن بمجرد دخوله المملكة قام أحد الخائنين بوشايته فتم القبض عليه ورمي في السجن الأسود.
- أبويا هنا؟ يعني كل السنين دي محبوس وانتو ماحولتوش تساعدوه؟ انتو مين عطاكم الحق في كل دا اشمعنا احنا!!

قام الملك من مكانه وكأنه يستعد للرحيل وهو يقول:

.

- ستعرف كل شيء في حال موافقتك.. الآن الخيار أمامك أنت لست مضطرًا لمساعدتنا لو أردت العودة أخبر مهلابيل وهو سيفعل.

تركني وحيدًا شاردًا بالكاد أستطيع التنفس أشعر بضيق شديد في صدري ماهذا أنا؟ أنا يحدث لي كل ذلك؟ كيف أنا إنسان خاوٍ لا ماضي لي أستند عليه ولا مستقبل يقويني عندما جئت لهنا كنت أريد الهروب من هناك والآن أريد الهروب من هنا ولكن إلى أين لم يعد هناك مكان آخر يبدو أن الحياة تدفعني إلى المواجهة فإما أن أنجح أو تتخلص هي مني.

خرجت من القصر فشعرت بملامسة الهواء لوجهي حاولت أن أمسك الهواء فلم أستطع نظرت إلى حجر مرمي على الأرض حاولت تحريكه بعيني فلم يتحرك مددت يدي بجانبي وقفزت فلم أطِرْ في الهواء دببت الأرض برجلي فآلمتني.. أين هذه القوة التي لم أشعر بها طوال الأربعة وعشرين سنة الماضية بينما أنا مستغرق في تفكيري ارتطم أحدهم بجسدي من الخلف فسقطت فرجع لي قائلًا:

- آسف سامحني.. من خالد الغريب! تعالَ معي.

كان سيلوت الفتى الذي قابلته في السوق منذ آيام فقلت وأنا أنفض الغبار عن ملابسي:

- سيلوت لماذا تجري هكذا ماذا يحدث؟؟

- لقد هربت من السجن تعالَ معي.

سحبني من يده وجرى فجريت وراءه استمررنا في الجري من طريق لآخر حتى وصلنا إلى بيت صغير أشبه بالكوخ دخل سيلوت ثم قال وأنفاسه تتسارع:

- ادخل أيها الغريب.

.

دخلت إلى الكوخ فلم أجد سوى بعض الأقمشة المبعثرة هنا وهناك انتفضت عندما سمعت صوتًا يأتي من على يميني قائلا:

- من معك يا أخرق؟!

- أبي أنت مستيقظ؟ هذا صديقي.

- صديقك سمعتك وأنت تناديه بالغريب يا كاذب.

- أبي من فضلك لا تسبني أمامه.

- لماذا هل هو محترم؟

- أعتقد ذلك وأيضًا أقسمت لك عدة مرات أني أصبحت شابًا.

- كاذب أنت مازلت طفلا في العاشرة من عمرك لقد رأيتك بالأمس وأنت تركض خلف الدجاج وتخنقهم بيدك.

قال سيلوت وهو يضغط على مخارج ألفاظه:

- هذا منذ عشر سنوات اليوم السابق لحادثتك صدقني.

ملت برأسي ناحية سيلوت متسائلا بهمس:

- لماذا يعتقد أنك مازلت صغيرًا؟

فرد عليّ بضيق:

- لقد ماتت والدتي وأصيب أبي بالعميدى من الحزن عليها ومن حينها وهو يعتقد أن الزمن مازال متوقفا عند ذلك اليوم.

صاح والده فيبدو أنه قد سمع حديثنا فقال بنبرة باكية:

- سمعتك أيها الأخرق لست مجنونًا لأعتقد ذلك أعلم أنه قد مرت عشر سنوات وأعلم أيضًا أن والدتك ماتت ولكن هل فعلا الحياة مستمرة؟ هل أصبحت زوجتي ذكرى؟ كيف هو الكوخ بدونها؟ كيف يعيش العالم بدون ضحكتها؟ هل الغنم بخير ألم تكن هي كل شيء بالنسبة لكم أيضًا؟ الشمس والقمر أصبحا وحيدين الآن، نسمات الهواء لم تعد تلامس

.

شعرها فتنتعش.. ليلى لماذا تركتيني ألم نتعاهد أن نكون سويا أنا بدونك وحيد مع ابن أخرق لا يطل عليّ سوى مرة في اليوم وتمر الأيام دون أن يتحدث معي، لماذا رحلتِ..؟ ألم تخبريني دائما بأنني قلبك، قلبك حزين في دنياه يا ليلى.

بكى الرجل فبكى سيلوت معه فخرجت من الكوخ عائدًا وكل جزء في جسدي يشتاق إلى أمي قلبي يعزف أنغامًا حزينة شعرت بانقباضة شديدة في قلبي كنت أشاهد السائرين في الشوارع كأنهم رسوم متحركة.

استيقظت هذا اليوم مبكرا فطوال الليل أحلم بذلك السيف الذي سأتدرب على القتال به لا أعرف كيف سيحدث ذلك كنت أشعر بتوتر وخفقان في قلبي فبدأت أمارس عادتي لأهدئ من حدة التوتر تمددت على سريري ثم بدأت أغني بصوت عالٍ لعله يغطي على صوت عقلي القائم بدون توقف وأمسك بيدي ذلك الشيء الذي لا يتجاوز طوله طول الإصبع الأوسط أضعه في فمي فأشعر ببعض الهدوء وأنا أردد:

- عيون القلب سهرانه مبتنامشي وأنا...

فتح باب الغرفة سريعًا فانتفضت من مكاني فاصطدمت قدمي بالحائط فصدرت مني بعض الآهات.

- خالد ماذا بك هل أنت بخير؟

- نعم آه بخير.

- ما هذه الرائحة؟

تجمدت مكاني فبين نظرتي لأوبال وانشغالي بألم قدمي يبدو أنني نسيت السيجارة التي سقطت مني فوق الفراش نظرت إلى السيجارة ثم عاودت النظر لأوبال فمدت أوبال يدها ممكسة بالسيجارة واضعة إياها بالقرب من فمها فسعلت بشدة أمسكت السيجارة من يدها وأنا أقول:

.

- أوبال لا تخبري أحدا عشان خاطري.
- ما هذا الشيء؟
- دا دا حاجة كدا اسمها عندنا سجاير.
- ماذا تفعل بها؟
- لا دي بحرقها يعني مجرد تسلية.
- هل تكذب؟
نظرت في الأرض وأنا أقول:
- نعم بكدب دي كنت بشربها.
- حسنًا أرني كيف تفعل.
وضعت السيجارة بفمي وسحبت منها نفسًا حتى امتلأت رئتي به ثم زفرته مرة أخرى.
صفقت أوبال وهي تقفز في الهواء قائلة:
- جميلة جدًا دعني أجرب.
- نعم! لالا أوبال أنتِ ستوقعينني في المشاكل.. استني عشان تفهمي. أنتِ ستسببين لي المشاكل لو علم الملك هينفخني لا لا مستحيل.
بعد عدة محاولات فاشلة أمسكت السيجارة في يدها ووضعتها في فمها سحبت نفسًا فاحمر وجهها وظلت تسعل أمسكت السيجارة ووضعتها داخل علبة مليئة بأعقاب السجائر فضحكت ضحكة عالية وهي تتساءل؟
- كم لديك؟
- بصراحة كنت جايب أروصتين أو قاروصتين على حسب انتو هتسموها إيه أما تدخل عندكم.
- لا أفهمك.

.

- لا يهم يا أوبال كل مايهم ألا تفعلي ذلك مرة أخرى من فضلك هذا سم نبيح له أجسادنا فينهيها.
- حسنًا يا خالد لن أفعل ذلك مرة أخرى هيا بنا... ورقة حجر مقص.
بعد دقائق طرق مهلابيل الباب ثم قال:
- سيد خالد الملك ينتظرك في ساحة التدريب لا تتأخر.
قمت من مكاني مسرعًا أقول بينما أرتدي سترتي الخارجية:
- أوبال عليّ أن أذهب الآن ومن فضلك لا تخبري أحدا بأمر السجائر.
وضعت أوبال يدها على فمها في محاولة منها لتخفيف صوت ضحكتها الذي رن صداه في أنحاء الغرفة.
- لماذا تضحكين؟
- ألا ترى نفسك بمجرد سماعك لكلمة الملك تبدلت لغتك أصبحت تتحدث بطلاقة يبدو أن كلمة الملك تفزعك.
- أنا! لا أبدًا فقط تذكرت أنني في زمن آخر يبدو أنني في بعض الأحيان أنسى أني في زمن مختلف.
وقفت أمامها وعلى وجهي ابتسامة وبداخلي كلمات كثيرة.
شكرًا لكِ أوبال لم أشعر بأنني وحيد هنا أشعر أن هناك شخصًا بجانبي يحتاجني أشعر أن لي قيمة في بعض الأحيان أيضًا.
خرجت من غرفتي تاركًا إياها جالسة مكانها أشعر أنها تتابعني تتابع حركاتي وسكناتي ظهري الذي يبدو قائمًا بينما هو منهدم مهزوم مكسور لا يقوى على حمل أي شيء كحائط ماء ينسدل من شلال لو مررت يدك فيه لتفرقت المياه هكذا أنا هش من الخارج خاوٍ من الداخل أوبال سامحيني لن أستطيع أن أكون أكثر من مجرد مهرج بالنسبة لكِ وأنا راضٍ كل الرضا بذلك لكن لا شيء آخر فأنا لم أعد أصلح لأي شيء.

.

وصلت إلى الفناء الخارجي للقصر أنظر حولي فلم يخبرني أحد بمكان ساحة التدريب هذه وفجأة سمعت صوت الملك وهو يصدر بعض التنهيدات يبدو أنه يحارب شخصًا ما أو يستعد لتدريبي انفرجت أساريري ساخرة مني وقرع قلبي طبول الخوف فاستجابت له أوصالي سرت ببطء فبدأ المشهد يتضح أمامي شيئًا فشيئا الملك يمسك سيفه بكلتا يديه ويطير في الهواء ثم يهوي به وكأنه يشق أحدهم نصفين لم أكل التفكير أنا سأكون ذلك الشخص لا لا سيدربني برفق و...

قطع شرودي صوت الملك وهو يقول:

- أيها البطل تقدم فسيفك يشتاق إليك.

- سيف مين يا عم هو أنا أعرفه.

نظر لي الملك نظرة قاسية فتلعثمت كانت فعلا نظرة قاسية لم أرها من قبل:

- أعد الجملة التي قلتها بلغتنا ففي حضور السيف لا مجال للأخطاء.

قالها وهو يجري ناحيتي وسيفه بيده اليمنى فصدرت مني صرخة عفوية وبسرعة أمسك برأسي ثم طار من فوقي ولكن يبدو أنني أفسدت تلك الحركة فبمجرد لمسه لرأسي انحنيت خوفًا فسقط الملك خلفي استدرت فوجدت الملك جالسًا على ركبتيه ثم قال وهو بنفس الوضعية:

- في حضرة السيف شيئان لا يمكن وجودهما الخوف والخطأ فوجود أي منهما ولو بنسبه بسيطه كفيل أن يقضي عليك في لمح البصر.

قام الملك من مكانه ثم أشار بسيفه إلى سيف آخر فتقدمت ناحيته نظرت له مليًا ثم مددت يدي أحكمت قبضتي عليه ولكن قبضة مرتعشة كنت أخاف حتى من مجرد ذكر كلمة سلاح رفعت السيف فكانت أول مفاجأة بالنسبة لي نظرت إلى الملك قائلا:

.

- لماذا هو ثقيل هكذا؟!
- ليؤدي مهمته في قطع الرقاب على أكمل وجه.
- الله يطمنك، حقيقة لم أكن أنتظر إجابة أخف حدة من هذه.
وضع الملك سيفه جانبًا ثم تقدم إليّ وأمسك بكتفيّ يرفعهما لأعلى ثم لأسفل قليلا أمسك بيدي التي تحمل السيف ثم قبض عليها رفعها قليلا وهو يقول:
- لم أكن أعرف أنك أعسر.. حسنا اسمعني جيدًا منذ أن جئت أنت إلى هنا لم أطلب منك سوى طلب واحد وهي لغتك أعلم أنك أصبحت تتقن الفصحى ولكنك عندما تضطرب تنسى كل شيء ولن أستطيع الدخول في مرحلة قبل الانتهاء من التي قبلها هذه آخر نصيحة لك حافظ على حياتك لا تفسدها بأخطاء قد تبدو أمامك صغيرة.
- حسنًا أيها الملك لن أخطئ بعد ذلك.
- إذن هيا بنا. السيف صديق جيد طالما هو في يدك وعدو لدود طالما انتقل ليد غيرك ثعبان وفي لمن يستطيع ترويضه، صادقه، تحدث معه اشكُ له وسيسمع إياك أن تخذله.
- كيف هو الخذلان؟
- أن يشعر بخوفك برعشة يديك أن تكون جبانًا إياك يا خالد لو كان من الموت بد مت وسيفك في يدك إياك أن تسقطه...
مر اليوم الأول في التدريب شاقًا جدًا فبمجرد انتهائنا من التدريب ارتميت بجسدي على السرير ولم أستيقظ سوى اليوم التالي على صوت مهلابيل وهو يقول:
- سيد خالد الملك ينتظرك في ساحة التدريب.

.

استمر التدريب لأربعة عشر يوما وفي اليوم الخامس عشر انتهيت من التدريبات بينما الشمس توزع شفقها في السماء كنت أشعر بالاختناق بعدما أخبرني الملك بأنه سيعلن لي غدا عن تفاصيل المهمة التي جئت لأجلها خرجت من بوابة القصر أسير بملامح جامدة لا أعلم أين أذهب دسست جسدي بين المارة لعلي أتوه أو أتوارى من نفسي بينهم وجدت نفسي أمام دكان سيلوت فنظرت إليه وهو كعادته يقذف المارة بالتعليقات الساخرة تقدمت إليه قائلا:

- كيف حالك يا صديقي.

- خالد الغريب! كيف حالك يا رجل أين اختفيت كل هذه المدة؟

انتزع سيلوت ابتسامتي بطريقته المندفعة في الكلام ونعته لي دائمًا بالغريب فقلت له:

- انشغلت ببعض الأمور.. كيف حال والدك الآن؟

- والدي ليس بخير يا خالد هو من اختار أن يحب بكل جوارحه رغم أنني أؤمن بأنه علينا دائما التحكم في حبنا حين نمتلكه حتى لا يتحكم هو فينا فيمتلكنا.

- لا يستطيع أحد التحكم في الحب.

جلس سيلوت على الأرض مستندًا بظهره على الحائط فأشار لي لأجلس بجانبه ثم أتبع:

- الحب يا خالد لعنة تصيب البشر هي أشد من الكره فعندما تكره شخصا تستطيع الابتعاد عنه ولن تندم أما الحب فعبارة عن خيط مطاطي يربطك بحبيبك يقترب ويبتعد ثم يقترب وهكذا إلى أن يعود إليك مرة أخرى بدون ذلك الشخص وتظل هكذا لا أنت قادر على

.

التوقف ولا أنت قادر على الاستمرار لماذا نعلق أنفسنا بأشخاص بأيديهم أن ينهوا حياتنا في الوقت الذي يريدونه.
انظر يا خالد إلى تلك الفتاة وهذا الصبي.
كان يشير إلى فتاة صغيرة وصبي يسيران بجانب بعضهما يتشاركان في أكل قطعة الحلوي.
- هما الآن يتعلقان ببعضهما وأكاد أجزم أنهما لا يشعران بطعم الحلوى ومع مرور الوقت سيبدأ طعم الحلوى في الظهور تدريجيا ولكنها ستكون علقما لعن الله ذلك المرض الخبيث المسمى بالحب.
- سيلوت أنت أحببت قبل ذلك أنا متأكد من ذلك ولكن ما الذي يحدث يجعلك تكره الحب لهذه الدرجة؟
ضحك سيلوت كثيرا وتعالت ضحكاته حتى ظننت أن جنونًا أصابه ظل حوالي خمس دقائق على هذا الحال فبدأ المارة ينظرون إليه.
- سيلوت كف عن الضحك أجننت!
- هل تتذكر عندما أتيت هنا لأول مرة وتم القبض عليّ بتهمة سب زوجة الوزير؟
- نعم أتذكر عندما وصفتها بأنها قردة أو شيء كهذا.
- هي تلك الفتاة من أحببتها وأحبتني إلى أن جاء الوقت الذي عاد الخيط لي فارغا وأمسكت هي بخيط أكثر صلابة وأشد قوة.. تزوجت من الوزير وبدأت تنظر إليّ من خلاله كفتى فقير مجرد بائع ملابس هل تعلم ما يؤلمني حقًا يا صديقي؟
نظرت إليه بشفقة وأنا أهز رأسي فأتبع:
- كمية الملابس التي أخذتها مني.

.

خرجت مني ضحكة قوية لم أستطع تمالك نفسي بينما هو مستمر في حديثه:
- كنت أول خميس من كل شهر أهديها فستانًا في يدها وقبله على جبينها...
جاهدت نفسي في التوقف عن الضحك ثم قلت:
- وكأن الحب فرض والفراق واجب والعذاب نافذ لا محالة، أوله عشق وآخره حنق.
زفر سيلوت نفسا عميقا وهو يقول:
لم يعد يجدي الكلام نفعًا ولا تقلق لاوقت عندي للتألم من أجلها فأنا ممتن جدا لرحيلها كانت ستقاسمني تعاستي فأنا لا أملك شيئا لأمنحها إياه.
- حسنا سأذهب الآن يا سيلوت، ونصيحة كف عن اختلاق المشاكل فأنا أشعر بأن النساء قد بدأون يتجنبن السير من أمامك.
ابتسم سيلوت وهو يقول:
- حسنا يا صديقي إلى أين ستذهب الآن؟
- سأسير في الشوارع قليلا ثم أعود للبيت.
- صحيح أين تسكن.
- سأخبرك في الوقت المناسب، سلام يا صديقي.
بدأت السير في الشوراع وخوفي من الغد يسيطر عليّ لا أعلم ما هي المهمة ولم أكن أريد أن أعلم فأنا هنا أشعر براحة شديدة لم أشعر بها من قبل ذكرياتي لم تقوَ على مهاجمتي هنا.. الرضا الظاهر على وجوه المارة يرضيني ويجعلني أفضل وجوهم المطمئنة وضحكاتهم الطيبة مساعدتهم لبعضهم يا ترى هل سأراهم مرة أخرى أم لا؟ أنا خائف بين

.

الآمنين تائه وسط الراشدين يا الله ساعدني، قطع شرودي صوت طفل يقف بجانبي يقول:
- من فضلك يا عم.
- تفضل أيها الطفل ما اسمك؟
- أنا كورال عمري ستة أعوام وأبي يعمل في طاحونة قرب منزلنا.
- ما شاء الله أخبرني يا كورال ماذا تريد؟
- أريد أن أذهب للبيت فأنا قد ضللت الطريق.
- وأين بيتك يا كورال.
- ياعم لو أنا أعلم أين هو فلماذا أطلب منك المساعدة.
- كلامك صحيح.. حسنًا أخبرني بأي شيء مشهور بالقرب من بيتك.
- الطاحونة التي يعمل بها أبي.
- حسنا سنسأل عن طريق الطاحونة...
أمسكت بيده الصغيرة فضغط على يدي وكأنه يخشى أن تفارقه فقلت في نفسي (لا تقلق يا صغيري أمامك وقت لتتتذوق الفراق وأوقات لتشعر بالخوف) نظرت إليه متسائلا:
- أخبرني أين كنت؟
- كنت أزور والدتي.
- هل هي تعيش في منزل آخر؟
- لا يا عم ماتت أمي منذ سنة فعندما كنت في الثالثة والرابعة من عمري كنت أذهب معها لزيارة قبر جدتي كانت تضع في كل مرة وردة على قبرها وعندما سألتها لماذا أخبرتني بأنها كانت تحب الورد جدا واليوم أصبحت في السادسة من عمري أصبحت رجلا فقررت الذهاب إلى قبر أمي كما كانت تفعل مع جدتي.

.

- وهل كانت والدتك تحب الورد أيضًا؟
لا يا عم هي أخبرتني يوما أنها تحبني لذلك ذهبت إلى قبرها ومكثت أمامه كثيرا أحدثها فقد وجدت المكان هناك مملا.. ترى هل كانت تستمع لي يا عم؟
- نعم نعم استمعت إليك هي ومرافقيها أيضًا وأخبرتهم بأنك ولد صالح وستنتظرك الأسبوع القادم إياك أن تنساها يا كورال.
- لاتقلق لن أنسى..
قطع كلامنا صوت يأتي من الخلف صائحا:
- كورال! كورال..!
التفتنا إليه كان رجلا يبدو في أوائل الثلاينات من عمره يهرول ناحيتنا وما إن وصل أمامنا حتى جلس على ركبتيه وعانقه بشدة؛
- أين كنت يا كورال؟؟!
- كنت أزور أمي يا أبي آسف لم أخبرك كنت مشغولا.
تركتهم وواصلت السير تتسارع أنفاسي بشدة وعقلي يراجع ذكرياتي مع أمي كانت أول دمعة تستعد للهبوط وأنا أحاول أن أكذب قلبي لن أفعل.
أعلم بأنك غاضبة مني يا أمي سامحيني سآتي إليك أعدك سأحكي لكي كل شيء وستعذريني ضاقت بي الحياة تعثر حظي وتحطمت أحلامي لم يعد لي مكان هناك حاولت الابتعاد ولكن يبدو أنني ابتعدت أكثر من اللازم إلى أن أصبح مصيري مجهولا سامحيني والله أتمنى لو أعطر شفتيّ بقبلة على جبينك ويشتد جسدي بعناق ينتزع كل البؤس مني سامحيني لم يشعروني بأن لي أهمية فهربت لم يشعروني بوجودي حتى نعمة تركتني وحيدا وأنا لا أملك من الدنيا أي شيء سواكي أنا تائه يا أمي بدونك كطفل قذفته أمه في الهواء ويضحك مطمئنا لوجودها

.

بالأسفل وفي مرة لم يجدها وسقط وظل يسقط ولا يعلم متى سيصطدم ولا أين ولا كيف.
كنت في تلك اللحظة قد وصلت إلى باب القصر فدخلت من الباب الخلفي إلى غرفتي مباشرة ارتميت على السرير لم أشعر بشيء بعدها سوى بصوت مهلابيل وهو يخبرني بأن الملك ينتظرني في الخارج.
فتحت عيني ببطء ثم تذكرت أمر المهمة فقمت مسرعًا متجها إلى الملك أخيرا سأعلم سبب وجودي هنا وقفت أمام الملك فأشار لمهلابيل فرحل ثم بدأ كلامه:
- بدون مقدمات مهمتك صعبة ولكن لابد أن تنجح لأن في حالة فشلها فأنت حكمت على هذه المملكة بالموت، مهمتك هي أن تذهب إلى المملكة الشماليه بيننا وبينهم ثلاثة أيام سير، ستدخلها على أنك تاجر عطور المملكة الشمالية تصنع بها جميع أنواع العطور النادرة وتشتهر بذلك بين الممالك الأربعة اسمك من الآن "تاسلوس"، عليك أن تمر من الحرس دون أن يشك أحد في أمرك وإلا لن يفكروا دقيقة قبل أن يقطعوا رقبك هذا هو أبسط جزء في المهمة.
الجزء الثاني وهو الأهم أنت تعلم أن والدي قتل منذ حوالي شهرين هو ورئيس الجيش أرسلان الذي كان سيتزوج أوبال هذا ما يظنه الجميع ولكن هذا لم يحدث من قتل والدي هو أرسلان ثم سرق الكتاب الأبيض وهرب إلى المملكة الشمالية.
- لماذا وما هو الكتاب الأبيض؟
- الكتاب الأبيض هذا فيه كل تاريخ مملكتنا منذ بدايتها إلى فترة حكم والدي يريدون أن يطمسوا تاريخنا لنصبح مثلهم.
- حسنا وما هو المطلوب؟

.

- المطلوب منك أن تأتي بالكتاب وأرسلان معًا.
- ماذا كيف سآتي بأرسلان هذا أنت قلت إنه رئيس الجيش سيقتلني لا محالة!
- خالد.. الخائن شخص ضعيف مهما كان قويا ولا تقلق لن أتركك ستكون هناك مساعدات منا ولكنها ستظهر في الوقت المناسب المهم الآن سترحل في الفجر أمامك يوم كامل للتجهيز نفسك وعند شروق الشمس عليك الرحيل مهما حدث يا خالد والآن سأجيبك على السؤال الذي جال بعقلك وتريد معرفة إجابته.. لماذا أنت تحديدًا؟ منذ زمن بعيد استطاع جدك وجدي التواصل ووجدوا شيئا مشتركا بينهما وهو فضول كل منهما لمعرفة كل شيء عن العوالم الأخرى ويقال إن جدك كان يأتي إلى هنا وجدي يذهب إلى عالمكم فتكونت صداقة قوية بينهما مما جعلهم يوقعون على اتفاقية تمتد للجيل الثالث عندما أخبر جدي جدك بأن هناك مملكة تسمى المملكة الشمالية لا تكف عن مهاجمتنا وسرقة تاريخنا والمساعدة كانت لابد وأن تأتي من شخص خارج عالمنا.

صمت الملك آجات قليلا وهو ينظر لي كأنه ينتظر السؤال الذي لابد منه فسألته:

- لماذا شخص خارج هذا العالم بالتحديد؟

قام الملك من مكانه واضعا يديه خلف ظهره وسار خطوتين لليمين إلى أن وقف أمامي مباشرة ثم قال بنبرة هادئة تشوبها الكثير من الألم الخالي من الأمل:

- كان لجدي أخ صغير متهور طائش نال منه حب الدنيا ما نال خرج يومًا باحثًا عن أرض تسعه فأرضنا لا تسع الخير والشر معًا استطاع

.

بناء مملكته وبعد الانتهاء منها ألقى على بوابتها تعويذه تقتل كل من يحمل دمنا فلا يستطيع أحد منا اختراق البوابة وإلا...
قاطعت حديثه فرأسي مزدحمة بآلاف الأسئلة فقمت أنا أيضا متسائلا:
- وكيف استطاع أرسلان العبور عبر البوابة وهو من دمكم لماذا لم تنل منه التعويذة؟
- أي شخص غريب يستطيع العبور هو ومن في حيزه إنه أمر متعلق بالأطياف والهالات المحيطة بالجسد.
- هل تعلم أوبال بأمر أرسلان؟
- لا لا تعلم رغم أنني في بعض الأحيان أشعر بأنها تعلم صدقني أنا نفسي لم أعد أستطيع التفكير.. خالد ليس أمامنا غيرك لإنقاذ تاريخنا والنيل من الخائن حتى لا نكون عرضة لكل خسيس.. ولا تنسَ والدك هناك يا خالد يحتاج إليك.
لم أكن أعلم هل هذا شيء جيد أم لا توقف عقلي عن التفكير ولكن شعرت حينها بأن يدي تشتاق للسيف كاشتياقه لجني الرؤوس. حاولت استجماع قوتي وأخذت نفسا عميقا أخرجته بهدوء ثم قلت:
- إذن الأمر أصبح شخصيا.
- كلانا يحتاج إلى الآخر يا خالد ولكني أنهيت الجزء الخاص بي أما القادم هو ملكك.
نهضت من مكاني وأنا أقول:
- أريد أن آخذ شخصا معي.
- لماذا؟
- ربما أحتاجه فمهمتي مضاعفة.
- الأمر صعب يا خالد لو أصابته التعويذة سيموت فورا.

.

- أنت قلت بأن الغريب وكل ما في حيزه يستطيع العبور سأجعله في حيزي.
- حسنًا سأدبر الأمر.
- لا أنا أريد شخصا بعينه أكثر شخص في هذه البلدة دخل السجن.. سيلوت.
- من سيلوت هذا؟
- فتى تعرفت عليه وتحدثت معه قبل ذلك كثيرا أريده معي.
- ولكن لآخر مرة أحذرك لو انكشف الأمر سيقتلونه فورا.
- لا أعتقد أنه من النوع الذي يقتل فورا.
- حسنا يا خالد موعدك عند شروق الشمس.

تركني الملك وصعد إلى الطابق العلوي ارتعشت أطرافي واختفت دقات قلبي تركتني بدون ونيس في هذا الموقف وقفت أسير يمينًا ويسارا ماذا أفعل عليّ أن أرتب كل أغراضي وأحزم كل أفكاري لا لا ماذا أقول أرتب أفكاري وأحزم أغراضي.. حسنًا سيلوت لابد أن أذهب إليه ثم أعود سريعا.. وقفت لحظة أغمضت فيها عيني وكانت هي أول من جاء ببالي...

أوبال لا بد وأن أودعها لا يمكنني الذهاب بدون أن أراها ولكن ماذا أقول لها أنا لست متأكدا هل هي على علم بالمهمة أم لا يا الله ماذا أفعل. نظرت إلى الطابق العلوي أتمنى لو تنزل الآن فقط أرى ضحكتها وأرحل شعور غريب أشعر به في وجودها ليس حبًا فقد نفذ رصيدي من الحب ولكن لتطمئن نفسي لوجودها بجانبي أشعر بأنه لا شيء ناقص لا يوجد شر.

أغمضت عيني عندما سمعت وقع أقدام تهبط من أعلى الدرج.

.

- سيد خالد.
انتفضت من مكاني كان المنادي مهلابيل بصوته الأجش.
- ماذا تريد يا هلابيل؟
- كن واثقا في نفسك أنت قادر على تخطي هذه المهمة ستعود إلينا ومعك التاريخ وسأحفر اسمك بيدي على جدران هذه المملكة..
ثم تقدم إليّ وعانقني بشدة.
- هلابيل هموت والله هموت يخرب بيتك.
- سأفتقدك يا سيد خالد.
- تصدق بالله ما حسيت كلمة من اللي قولتها. امشي وسيبني في حالي خرجتني عن شعوري.
خرج مهلابيل فتبعته بنظري وهو يردد:
- لغتك يا سيدي ستقضي عليك لو لم تحافظ عليها.
خرجت متجها إلى السوق لأقابل سيلوت فأنا أعلم بأنه لن يمانع خوض أي مغامرة فلذلك هو خلق يحيا ليواجه أي شيء يعلم أن به خطر مجنون هو ومحب للحياة أيضا ولكن زهده فيها امتزج بحبه لها كم نحتاج أن نكون كذلك في عالمنا نعلم أن المخاطر هي ملح الحياة نصارح بما في قلوبنا دون أن نمرره على عقولنا فليرحل من يرحل كم فرد نحتاج بأن نخبره بذلك قبل أن يرحل.. ظهر لي سيلوت من بعيد وهو يداعب أحد المارة فيتجاهله.. فابتسمت وأنا أردد: (لن أنجح بدون جنونك يا سيلوت) تقدمت بضع خطوات فسمعته يقول:
- كل هذا الزحام ولا يريد أحد الشراء مني الآن أتوقفتم عن ممارسة الحب يا بلهاء إذن من أين تأتي كل هذه الأطفال.
وقفت خلفه مباشرة ثم ربتُّ على كتفيه قائلا:

.

- حان الوقت لأن تترك الناس وشأنهم..
فقال بدون أن يلتفت إليّ:
- أنـا مـن يحتـاجهم أيهـا الغريـب أحتـاج أن أشـعر بوجـودهم أعلـم أن بضاعتي رديئة ولكن وجودي هنا يجعلني أشعر بالفخر فاختلاط صوتي بأصـواتهم والحـديث معهـم أفضـل بكثيـر مـن أن أجلـس بالـداخل حتـى يغمرني تراب الذكريات فأموت بالجنون.
- أريدك في مهمة ستنهي حياتنا.
التفت إليّ قائلا:
- هل اكتفيت من حياتك؟
فقلت بجدية مصطنعة:
- نعم اكتفيت أريد أن أجرب حياة أخرى. سنذهب للمملكة الشمالية.
تيـبس وجهـه فجـأة وزم جبهتـه وكأنـه ينعتنـي الآن بـالجنون ثـم تبـدلت قسمات وجهه فجأة.
- أخيرا وجدت من يضاهيني جنونا وجدت من ينطقها لقد هرمت.
- هل أنت موافق؟
أنا دائما ما أكون موافقًا مستعدًا للمغامرة ولكنـي كنـت أنتظـر حتـى أجد من يرافقني في قبري هيا أخبرني متى سنذهب؟
- عند شروق الشمس سنتقابل أمام بوابة القصر.
- هل تقصد قصر الملك؟
- نعم قصر الملك.
- أنا لا أفهم شيئا ولكن حسنا سأكون هناك في الموعد.
بدأت خيوط الظلام تنحسر بين أشعة الشمس، الهدوء يعم المملكة الكل في سبات عميق سوى وقع أقدام خيل تهرول بسرعة نحو المكان المتفق

.

عليه لم يكن سيلوت يطيق الانتظار فكان يركل بطن خيله بقدميه لتزداد سرعتها حتى وصل إلى بوابة القصر كنت أنتظره هناك واقفًا أحاول ربط حزام سيفي حول خصري، علمني الملك كل فنون القتال بالسف ونسي أن يعلمني كيف أربطه، قال سيلوت مازحا:

ـ بداية مطمئنة أيها الغريب، لا تعرف كيف تربط السيف.

ـ كف عن المزاح وتعال ساعدني فلا وقت لدينا.

هبط سيلوت من فوق حصانه ثم مد يده وبحركه سريعة تمكن فيها من ربط الحزام فنظر إليه خالد وهو يضغط على شفته السفلى ثم قال:

ـ هكذا أنت ساعدتني أريد أن أتعلم كيف يربط!

ـ خالد ليس لدينا وقت يا صديقي عندما تسنح الفرصة سأعلمك.

ـ تبًا لك اسمعني يا سيلوت أريد أن أتحدث معك قليلا قبل أن نتحرك.

هز سيلوت رأسه فقسمات وجه خالد كانت تدل على جدية كلامه:

ـ من الآن اسمي"تاسلوس" أنا تاجر عطور وأنت مساعدي جئنا من الشرق إلى المملكة الشمالية لاشتهارها بتصنيع جميع أنواع العطور النادرة من فضلك يا سيلوت كف عن افتعال المشاكل نحن بالفعل في مشكلة لا نحتاج إلى المزيد أخيرًا إياك إياك يا سيلوت أن تناديني بالغريب سأقتلك حينها أتفهمني.

ـ نعم بالتأكيد أفهمك ولكن عندي سؤال لتكتمل الصورة لدي نحن تجار عطور رجالية أم نسائية؟

نظر له خالد وهو يضغط على قبضته فنظر سيلوت يمينا ويسارا ثم قال:

- هيا بنا لقد تأخرنا يا تاسلوس.

ركب كل منهم جواده فنظر خالد إلى شرفة القصر فهو يعرف بأن الملك ينظر إليه الآن من خلف تلك الستائر يعلم بأنه سيصلي لأجله سيتمنى دائما أن يكون بخير ابتسم خالد ابتسامته الأخيرة التي تحمل كل معاني الثقة لعلها تطير في الهواء وتلتصق بسور تلك الشرفة فيراها عندما يعود أو يفتخر به الناس إذا لم يعد وعلموا بأمره.

بدأت الخيول تشق الصحراء شقًا كالفهد عندما ينقض على فريسته البعيدة لم أكن أرى نصب عيني سوى صورة والدي الذي طالما تمنيت رؤيته ولو للحظة واحدة نظرت إلى سيلوت فوجدته يركل بطن جواده ليسرع ونظرة قاسية لم أرها من قبل في عينيه نظرة انتقام حاولت أن أحدثه ولكن شدة الهواء تمنع وصول الصوت إليه حل الليل فاقترحت عليه التخييم في مكان ما ولكنه حاول إقناعي بأن الوقت ليس لصالحنا وأخبرني بأن هذا التوقيت من العام تفتح بوابة المملكة للتجار وباستطاعتنا الدخول دون أن يشك بنا أحد فسحبت لجام جوادي فقد بدأت الأسئلة تدور برأسي وتملكني الفضول حول تلك النظرة وتيبس ملامح سيلوت.

ـ سيلوت ماذا بك لماذا أرى تلك النظرة في عينيك لماذا لم تسألني كيف سندخل ألا تعلم بأمر التعويذة؟

نظر سيلوت باتجاهي قليلا ثم قال:

ـ نعم أعلم بأمر التعويذة وأعلم أيضًا أنك غريب.

ـ وماذا يدور ببالك حول دخولك عبر البوابة؟

ـ أنت أخبرتني أنك ستدبر الأمر.

ـ لا أنا لم أقل ذلك وأنت لم تسألني.

ـ ماذا بك يا خالد؟

.

هبطت من فوق جوادي ثم سرت للأمام بضع خطوات وتابعت حديثي وأنا أشير بيدي باتجاه المملكة:
ـ ماذا يوجد هناك؟ ما هو السر الذي تخفيه عني وكيف وافقت وأنت تعلم أنك لن تمر من البوابة إلا وأنت ميت؟ سيلوت أخبرني نحن الآن رفقاء وربما نفترق هناك.
هبط سيلوت من فوق جواده ثم جلس بجانبى أخذ نفسا عميقًا دون أن يتحدث وبعد جهد جهيد نطق قائلا:
ـ كان عمري ثمانية أعوام وكان والدي يملك مخبزًا صغيرًا بالكاد يكفي قوتنا كانت والدتي جميلة جدًا، امرأة طيبة تحب الحياة ولكنها كانت تحب والدي حب لم ولن أراه بعد ذلك ذات يوم خرج والدي للعمل وكنت أنا ألعب أمام البيت وهي بالداخل وفجأة اقتحم البيت ضابط من ضباط الجيش صرخت والدتي فجريت نحوها كانت أول مرة أموت في حياتي اغتصبها هذا الكلب أمام عيني حاولت إبعاده كثيرًا لكن...
صمت سيلوت وبكى بشدة فجلست بجانبه وقبل أن أتكلم تابع هو قائلا:
ـ رحل ثم جاءت أمي إليّ وضمتني إلى صدرها ضمتني يا خالد وهي تشعر بكل ذلك الألم أرادت أن تخفف عني برغم كل ما حدث لها خرجت لأخبر أبي وعندما عدنا كانت قد....
لم يستطع سيلوت الكلام من شدة البكاء بينما كنت أحاول إخفاء دموعي عم الصمت قليلا حتى هدأ ثم أكمل:
ـ عدت أنا وأبي فوجدناها قد قتلت نفسها لم تتحمل أن يراها أبي هكذا لم ترضَ له أن تبقى زوجته هكذا لم تجبره على قبولها فكما أخبرتك كانت محبة للحياة ولكنها أحبت أبي أكثر.

.

سألني والدي عن الفاعل فأخبرته أني لا أعرف خوفا عليه تركنا تلك المملكة وقصدنا مملكة الجنوب فأنا من أهل الشمال وأستطيع الدخول ولكني كنت أنتظر الوقت المناسب.

ـ ما كل هذا يا سيلوت أنت تحمل كل هذا بداخلك لم أرَ شخصًا في المملكة يضاهيك مرحًا من أين لك هذا كيف كنت تضحك وتداعب السائرين!

ـ الضحك ماهو إلا انعكاس لحزن سكن القلب فأذابه وصادق الروح فأزهقها ثم يتركك وحيدًا مختلا لا تدري ماذا بك وماذا حدث لك.

قمت من مكاني وسرت خطوتين حتى وقفت أمامه ثم مددت له يدي قائلا:

ـ تعال نتعاهد أن نقتص منهم نقتص لكل مظلوم لكل شخص مثلي ومثلك لكل محروم رغمًا عنه والدتك قتلت ووالدي هناك لابد وأن نهدم هذا العبث الذي شيدوه خلف تلك الأسوار.

مد سيلوت يده في يدي ثم قام ينظر باتجاه المملكة:

ـ الشر هناك يا خالد هو الخير والباطل أخفى الحق أنت لا تعرف تلك المملكة هي مملكة الشيطان نفوس مريضة وعقول متوقفة والكل يرتدي رداء الحكمة فلن تستطع التفريق بين الخير والشرير وبين الظالم والمظلوم.

ـ هناك لحظة يا سيلوت الكل فيها يخلع رداءه فتظهر بواطن أموره.

ـ أحب الخلع كثيرًا يا خالد.

ـ فصلتني يهدك ربنا يابني خلينا نتكلم بعمق شوية.. سيلوت من فضلك لا تضغف هناك ولا تستسلم فربما تأتي اللحظة التي لن أستطيع أن أخبرك بهذا.

.

ـ لا تقلق يا صديقي سنكون بخير وسنعود بالكتاب وبأبيك وبرأس بعض الأشخاص.
ـ أتمنى ذلك هيا بنا فالوقت ينفذ أشتاق لرؤية تلك المملكة التي احتجزوا والدي بها كل تلك السنوات.
ركب كل منا جواده وغصنا أكثر في وسط الصحراء الهادئة الساكنة يا ليتنا كنا مثلها لا نلقي بالا لأي شيء فقط تحافظ على هدوئها غير مبالية بنقص أو زيادة عدد رمالها أما أنا فكان بداخلي ضجيج، أحاديث تُتْلى وذكريات تمر أمام عيني ضوضاء غريبة كلها تدفعني لنفس الهدف لن أكون ضعيفًا سأتخلى عن جبني وأرتدي رداء القوة سأنتقم من كل شيء الظلم والقهر والكسرة والضعف ربما لو عبرت البوابة دخولا لن تسنح لي الفرصة لأعبرها خروجًا فليكن ما يكن.
بعد السير لأيام متواصلة أنهكت فيها أجسادنا كليًا لم يسعفنا سوى قليل من الماء والطعام لم نتوقف سوى لقضاء حاجتنا وكان هذا على اتفاق بيننا بعدم التوقف للوصول في أقل فترة ممكنة كنت أشعر بأني في حاجة إلى الاستلقاء، بدات أشعر بألم في أسفل ظهري لم أشعر به من قبل صاح سيلوت وهو يشير إلى الأمام قائلًا:
ـ السور يا خالد هناك قد وصلنا.
شددت لجام جوادي فأبطأ من حركته ونظري مثبت ناحية السور سور المملكة الشمالية أو عاصمة الشر كما فهمت منهم يشبه إلى حد كبير سور المملكة الجنوبية لا أرى أي اختلاف سوى أنه أعلة قليلا شعرت بشعور غريب استدعيت من ذاكرتي صورة والدتي بحجابها وهي ترفع يدها بعد الصلاة وتقول: (اللهم أسعدة سعادة تتعجب لها جميع الخلائق).
نظرة نعمة الفتاة التي أحببتها بكل جوارحي والآن خرجت عن سيطرتي

.

وترفض نسيانها.. قلبي لم يعد يفرق بين الخوف والفرح سعادة وحزن فالحياة واحدة هنا أو هناك قطع شرودي صوت سيلوت ينادي من على بعد خطوات:

ـ خالد ما كل هذا الشرود؟!

نظرت إليه ببرود وأنا أقول:

ـ تاسلوس يا سيلوت تاسلوس لا تنسَ إهمال التفاصيل الصغيرة يؤدي بك إلى مشاكل كبيرة.

ـ حسنًا يا تاسلوس لن أهمل التفاصيل هيا بنا.

ـ انتظر دقيقة يا سيلوت أشعر أنني بحاجة إلى شيء ما.. آه تذكرت.

دسست يدي في القميص أسفل ردائي العلوي ثم أخرجت سيجارة أشعلتها بعود ثقاب متهالك بالكاد استطعت إشعاله سحبت نفسًا إلى أعماقي ثم زفرته بهدوء:

ـ تاسلوس ماذا تفعل وماكل هذا الدخان هل أنت تحترق!

ـ نعم يا سيلوت أحترق.. انتظر دقيقة من فضلك.

سحبت نفسًا آخر وأنا أغمض عيني لتمتلئ به رئتاي ثم زفرته:

ـ تاسلوس لابد وأن تشرب مياها أنت تحترق حقًا!!

ـ يخرب بيت فصلانك وآدي السيجارة يا عم استريحت هيا بنا بقا.

ضربت بطن جوادي بقدمي فتحرك ثم تبعني سيلوت ظللت أكرر عليه بعض النصائح التي يجب اتباعها وما لا يجب أن ينساه وقفنا أمام السور مباشرة بوابة حديدة كبيرة لم أرَ مثلها قط حتى بوابة المملكة الجنوبية لا تضاهي ضخامتها يقف على كل جنب من جوانبها حارسان يرتديان سترات حديدة وفوق رأسهم خوذة لا يظهر من ملامحهم سوى أعينهم فقط ينظرون إلى الأمام لا يلتفتون أبدًا وكأن على رؤوسهم الطير بينما

.

أنا على حدود البوابة صرخ أحدهم فانتفضت يبدو أنه قد كشف أمري نظرت جانبي بحذر فرأيت أحدهم مرميا على الأرض وكان قد أصابه تيار كهربائي أودى بحياته بكل هدوء تحرك حارسان من الأربعة ناحيته فحملوه ثم تحركوا به ناحية غرفة يسار البوابة لم أنتبه لها فتح أحد الحراس الباب يا إلهي ما كل هذا العدد من الموتى رأيت رجالا وأطفالا ونساءً وشيوخًا بدأ العرق يجتاح قسمات وجهي فأنا على بعد خطوات من هذا المصير نظرت إلى سيلوت فوجدته شاردًا مثبت عينه داخل البوابة يبدو وكأنه في عالم آخر لابد وأن بعض الذكريات تقلبه الآن بين طياتها.

ـ هيا بنا يا سيلوت.

فقال دون أن يحرك نظره:

ـ هيا بنا.

مرت تلك الحظة كدهر مع كل رفعة قدم جواد وطأتها تزداد الرعشة ويصب العرق فوق صدري صبًا أخذت نفسا عميقًا ثم أغمضت عيني ودلفت بسلام داخل تلك اللعنة سحبت كمية كبيرة من الهواء فامتلأ صدري بالهواء عن آخره تذكرت سيلوت التفت يمينا ويسارًا لأجده قد سبقني ببضع خطوات يا إلهي بدأ في افتعال المشاكل من الآن يا سيلوت إلى أين تذهب.. قلت محدثًا نفسي وأنا أحاول الإسراع قليلًا لألتحلق به سرت بمحاذاته ثم قلت بصوت منخفض:

ـ سيلوت ماذا بك؟

ـ اتبعني سآخذك في جولة صغيرة.

تبعته دون أن أنبس ببنت شفة فأنا اعلم مايشعر به الآن فأن تعود لوطنك بعد كل تلك السنوات ومهما كان قد رأيت بداخله لكنه سيظل وطنك

.

سيظل تربتك التي نبتت بها طفولتك لعبك ضحكك بكاءك كل شيء حتى المشاعر السلبية السيئة الموجعة تندرج تحت بند الحب في عشق الوطن.. سرنا لمدة عشر دقائق كان بطلها الصمت حتى توقف سيلوت أمام منزل قديم مقارنة بالبيوت المجاورة مكون من طابق واحدة مبني من الخشب وأمامه مساحة تملؤها النباتات الطبيعية والحشائش ومحاط بسور خشبي قصير وقف سيلوت أمامه ينظر إليه وأنا أشعر أنه غائب عن الواقع يسبح في الماضي يتذكر تفاصيل كل لحظة قضاها داخل هذا المنزل نزل سيلوت من فوق جواده ببطء ثم دفع الباب الخشبي القصير بيده ودلف إلى الداخل ترددت قليلا قبل أن أتبعه ولكن في الأخير لم أستطع الانتظار فضولي دفعني خلفه سرنا بضع خطوات ثم جثى على ركبتيه في منتصف الحوش ثم بدأ ينتزع الحشائش الموجودة بها ونفض بعض الغبار حتى ظهرت بقعة سوداء فأشار إليها وصوته بالكاد يخرج من جوفه:

ـ هذا دم أمي قُتلت هنا.

جلست على ركبتي بجانبه ثم ربتُّ على كتفه.

ـ سيلوت الماضي فات بكل أحداثه لابد وأن نخرج أنفسنا منه وأن نفكر في الحاضر، الماضي واليوم هو المفتاح لنيل حرية المستقبل ماتت والدتك...

قاطعني وهو ينظر لي بغضب قائلا:

ـ قُتلت لم تمت!

ـ قُتلت يا سيلوت أعلم ذلك ولكن هذا ليس ذنبك ولِّ وجهك قبلة القادم ولا تنظر خلفك، أنتم تركتم أرضكم فظن القاتل أنه قد أفلت من العقاب ولكن اليوم أنت عدت فليبدأ الجحيم ولكن بالعقل يا سيلوت.

.

ـ أقسم لك سأجعله يندم على اللحظة التي عاشر فيها أبوه أمه لينتج تلك النطفة القذرة.
ـ حسنًا هيا بنا الآن لو رآنا أحد سينفضح أمرنا.
قام سيلوت ثم قال وهو ينفض الغبار عن ملابسه:
ـ لا يا خالد سنظل هنا.. هنا لا أحد يهتم الكل منكب على حياته يلهث لنيل الرزق لا أحد ينظر لأحد هنا وأنا لن أغادر هذا المنزل.
ـ حسنًا ولكن لن نخرج وندخل إلا في الليل لابد وأن نكون حذرين نحن بمفردنا في مواجهة جيش بأكمله.
ـ أعلم هيا بنا سأريك غرفتي وسريري و...
ـ ودورة المياه أرجوك سأنفجر.
أسرع سيلوت للداخل فتبعته لم يكن الباب يحتمل دفعة واحدة حتى انفتح داعبت أنفي تلك الرائحة العبقة رائحة ذكريات أشعر بها وأشمها مختلطة بكثير من الأتربة والحزن أشار لي سيلوت إلى دورة المياه فهرولت إليها وكان أول اندهاش لي دورة المياه يوجد بها صنبور و(دش) للاستحمام يبدو أن تلك المملكة متقدمة عن الأخرى قضيت حاجتي ثم خرجت لأجد سيلوت قد خلع ثيابه العلوي وبدأ في تنظيف البيت من الأتربة فعلت مثله مرت ساعات حتى انتهينا نظرت لسيلوت وأنا أضحك أتذكر يومها ضحكنا كثيرًا فيبدو أن الأتربة تركت الأثاث والأرضيات لتلتصق بوجوهنا، بدأت تفاصيل البيت تظهر بيت واسع به ثلاث غرف على يمين الباب أما دورة المياه والمطبخ على اليسار الصالة بها عدد كبير من الكراسي الخشبية موضوعة عليها وسادات خضراء اللون جلس سيلوت على أحد الكراسي ثم قال مازحًا:
ـ خالد أريد أن أطلب منك طلبًا منذ أن رأيتك.

.

ـ تفضل يا صديقي.
ـ أريد أن أجرب الاحتراق.
عقدت حاجبي مما يدل على عدم فهمي فقال:
ـ الاحتراق يا خالد.
ثم وضع أحد أصابعه في فمه ونفخ في الهواء.
ـ منذ أن رأيتك! تصدق ياد انت كداب ثم انتم ليه كلكم عندكم قابلية للانحراف دا بدل ما حد يقولي بطل والسجاير مضرة وكدا.
ـ حسنًا سأخبرك بكل ذلك ولكن بعد أن أحترق.
أخرجت سيجارة من طيات ملابسي ثم أشعلتها وناولته إياها وضعها في فمه ثم سحب نفسًا عميقا وظل يسعل حتى ظننت أن روحه ستزهق رمى السيجارة من يده وهو يقول:
ـ ما هذا لا لا أريد أن أحترق.
جلست بجانبه قائلا:
ـ سيلوت ما هذا الصوت؟
ـ ماذا لا أسمع شيئا.
ـ صوت بطنك يا رجل أأنت جائع؟
ـ لا إطلاقًا.
ـ إذن هو صوت بطني أنا جائع يا سيلوت.
ـ فكرة جيدة هيا بنا نذهب إلى السوق بالتأكيد هو مكتظ الآن.
ـ آه ليتني أعلم لماذا تعشق الأسواق هكذا.
ـ السوق هو المكان الوحيد الذي أتوه فيه عن نفسي أنتقل من التفكير فيها إلى التدبر في وجوه الناس حكايات تقصصها ملامحهم ترويها عيونهم وتصدقها قسمات وجوههم.

.

ـ لم أقتنع أنت تهذي يا رجل هيا بنا، ولكن احذر خارج هذا الباب اسمي "تاسلوس".

بدلنا ملابسنا سريعًا وخرجنا اتفقنا على السير على أقدامنا دون الخيول لنرى تفاصيل أكثر في المملكة كانت الشوارع هادئة الأطفال تلعب وتضحك والنساء تنظر إليهم بحب والشيوخ تنظر إليهم بحسد والآباء ينظرون إليهم بأمل شعرت بأن هناك تفاصيل كثيرة متشابهة بين المملكتين نفس الملابس واللغة حتى الشوارع المرصوفة دلفنا إلى شارع جانبي فأشار سيلوت:

ـ السوق في آخر الشارع..

ثم حرك يديه يمينا قليلًا إلى ناصية الشارع.

ـ وهذا المخبز الذي كان يعمل به والدي.. عبرنا من أمامه فألقى سيلوت نظرة سريعة بداخله ثم دخلنا إلى السوق الذي كان شديد الازدحام في ذلك وقف سيلوت هنيهة ثم قال:

ـ ماذا تريد أن تأكل يا صديقي؟

ـ أي شيء يا سيلوت المهم أن نسرع.

ـ حسنًا ولكن هناك مشكلة صغيرة.. ليس لدينا مال.

ـ لا انا أحضرت معي ما يكفي.. دسست يدي في جيبي ثم أخرجت بعض عملات معدنية في يدي قائلًا:

ـ أعتقد هذا يكفي.

صمتنا هنيهة ونحن ننظر للعملات فقد نسيت أنها منقوش عليها كلمة (المملكة الجنوبية) توسعت عين سيلوت وهو يشير لي برأسه أن أعيدها ففعلت ثم قلت بتذمر:

ـ عندك حق لازالت المشكلة الصغيرة قائمة.

.

صمتنا قليلا قبل يشير لي سيلوت بيده لأتبعه شققنا جموع السائرين وأنا لا أعلم ما ينوي سيلوت فعله ثم توقف أمام رجل يفترش بعض أنواع الفاكهة من تفاح وموز وبلح فقال بصوت عالٍ يحدثني:

ـ أيها التاجر الآن التحدي سيقام.

فقلت بصوت منخفض:

ـ أي تحدٍّ؟

أدار سيلوت وجهه للرجل ثم قال:

ـ كيف حالك يا عم هذا التاجر أتى من البلاد الشرقية فهو صديقي منذ زمن ولكن تخيل ماذا قال لي.

فقال الرجل متعجبًا:

ـ ماذا قال؟

ـ تخيل يا عم ماذا قال.

ـ لا أعلم صدقني.

نظر سيلوت إلى ثم عاود النظر إلى الرجل مرة أخرى في حركة درامية من ممثل فاشل أشعر أننا سنقضي نحبنا الآن بسبب هذا الاصطناع المبالغ فيه.

ـ قال لي إن ثمارهم وطعامهم أفضل من هنا معللًا بأن المياه الجوفية عندهم مباركة أما هنا فلا.

زم الرجل جبهته ومط شفتيه وهو يقول:

ـ ماذا؟

فقلت بخوف وأنا أنظر لسيلوت أترجاه أن يتوقف فقلت بتوتر:

ـ لا لم أقصد...

فقال سيلوت:

.

- والله لن نذهب من هنا حتى يعترف بنفسه بأن طعامنا أفضل منه بمئات المرات أعطني تفاحة يا عم.
مد لي الرجل يده بتفاحة فأمسكتها وأنا أنظر لسيلوت فغمز لي بعينه أي كلها فأكلتها وأنا أرتعد.
- ما رأيك؟ لم تقتنع بعد صحيح؟ هيا يا عم أعطه تلك الموزة.. لا لا تلك التي هناك أما هذه فأنا سآخذها.
أخذت الموزة وقد بدأ الشعور بالخوف ينسحب من داخلي تدريجيًا ظللنا هكذا حتى شعرت بأن معدتي ستنفجر، مال عليّ سيلوت قائلا:
- أخبره بأن الطعام هنا أفضل وإلا سيقسمك نصفين.
سرت خطوتين للأمام ثم قلت:
- أقسم لكم يا سادة بأن الطعام هنا أفضل من المملكة الشرقية ليست مئات بل آلاف المرات ظهرت البسمة على وجوه الجميع ثم انصرفوا مهللين لم أفهم سبب تلك البسمة أو الطمأنينة التي ظهرت على وجوههم أمسك سيلوت بيدي ثم خرجنا من السوق لم أتمالك نفسي من الضحك لا يا سيلوت أنت لم تكن مجنونًا فقط أنت دائما تسعى لأن تصبح أكثر جنونا يا لك من صديق يا سيلوت، أتذكر يومها نمنا على مدخل البيت نمسك بطوننا من ألم الضحك كل فترة قضيتها كانت تستحق الذكر والفخر فالصديق ليس الذي تعرفه منذ سنين ولا الذي يشعر بك قبل ان تتكلم كما يقولون بل الصديق الحق هو من يسير معك يوما بيوم ضحكة بضحكة وألم بألم من يسندك الآن ليس من سيسندك إذا حدث شيء شعرت بالصداقة نعم شعرت بها فهذه أول مرة أعلم بأن للصداقة شعور كشعور الحب ولكنه بدون أي مطالب أو تنازلات الصداقة هي الشعور بالقيمة والذات أما الحب هو الشعور بالتنازل عنهما كنا نجلس في

.

الشرفة الخلفية للبيت بينما سيلوت مستندًا برأسه للخلف مغمضًا عينيه فسألته:

ـ سيلوت ما سبب غضب البائع عندما أخبرته بأني أقول إن فاكهة المياه الشرقية أفضل؟

اعتدل سيلوت في جلسته ثم قال باهتمام:

ـ يقولون إنه في بداية تأسيس تلك المملكة أمر الملك بحفر قناة واسعة عميقة تصل أربع أبيار ببعضهم مات حينها مئات الرجال وتيتمت الأطفال وبعد قليل جفت القناة بدون سبب معلوم حينها قالوا بأن الإله غضب على المملكة بسبب تلك الأرواح التي زهقت فتم ردم القناة مرة أخرى وعادت المياة للآبار فأصبح من يسيئ للمياه أو النباتات كمن أساء أو خاض في عرضهم يعتزون بالأشجار والنباتات حتى إذا ماتت أو قلعت شجرة يزرعون مكانها خمسة شجيرات.

ـ ومن أين جاء الملك أصلا بهذا الشعب؟

ـ لا أحد يعلم، هناك من يقول إنهم نازحين من الممالك الأخرى وهناك من يقول إنهم من أبناء العساكر الموالين للملك أقوال كثيرة لكن لم يقف أحد على حقيقة الأمر بدأت أعيننا تطالبنا بالكف عن الكلام فجوارحنا تحتاج للراحة وهي لم تعد تقوى على النظر تمدد سيلوت بجانبي على السرير الذي أشعر أنه سيسقط بنا في أي وقت بجانب إصداره لأصوات مزعجة رغم احتياجي للنوم إلا أن الأمر لم يكن مبشرا بالخير فها أنا أشعر بذلك الصداع في مؤخرة رأسي فتحت عيني ببطء لم تكن الرؤية واضحة اللون الأبيض يحيط بي من كل مكان مسحت وجهي بيدي ثم التفت يمينا ويسارا فوجدتني فوق سرير حديدي أبيض اللون داخل غرفة يكسو جدرانها اللون الأبيض حاولت النهوض ولكني شعرت

.

برعشة في قدمي توسعت عيني عندما وجدتني أرتدي زيا أبيض اللون سمعت صوت أقدام تقترب نظرت ناحية الباب مترقبا فُتح باب الغرفة فوجدت رجلا يشبه الملك "آجات" يرتدي معطفا أبيض اللون وبنطالا أزرق بيده بعض الأوراق ومن ورائه "أوبال" ترتدي نفس الزي حاولت النهوض لكنه أشار لي بعدم فعل ذلك فقلت والدهشة تكاد تقتلني:

- أين أنا وكيف جئنا إلى هنا ولماذا ترتدون ذلك الزي؟؟

- انت مش عارفني يا خالد؟

- أيوه أعرفك لكن... لغتك! ازاي بتتكلم كدا!

نظر الملك إلى أوبال التي تنظر إليّ دون أن تنبس بكلمة ثم عاود النظر إليّ مجددا فقلت بعصبية:

- الملك آجات ودي أوبال إيه اللى لابسينه دا!

هز الملك رأسه يمينا ويسارا ثم هم بالخروج فناديت على أوبال فلم تنظر لي بل واصلت السير خلف الملك حاولت السير وراءهم ولكني سقطت أرضا نظرت حولي فوجدت سيلوت يقف عند النافذة ينظر للخارج يبدو أنه استيقظ لتوه كان شاردًا ولكنه قال فجأة دون أن يتحرك أو ينظر لي:

- صباح الخير يا خالد.

- كيف عرفت أنني استيقظت؟

- عندما توقفت تلك الضفدعة القابعة داخل حنجرتك لقد أُهلكتني طوال الليل.

فقلت مبتسمًا:

- هل أزعجتك؟

.

ـ لا لم أنزعج وأعتقد أنه لن يحدث أبدًا داخل أركان هذا البيت فيكفي أنني هنا.
ـ حسنًا ماذا سنأكل؟
أدار سيلوت وجهه ناحيتي ثم قال بسخرية:
ـ كنت أشعر أنك منذ أن تدخل هذه المملكة ستهجم على السجن وتحرر والدك وتخطف الكتاب في يد ورأس أرسلان في الأخرى وتعود إلى المملكة الجنوبية.. ما بك يا رجل منذ أن جئت لم تكف عن قول أنا جائع هل تذكرك تلك المملكة بطعام والدتك؟
ـ سيلوت لا تتحدث مع سيدك بتلك الطريقة مرة أخرى هيا اذهب وأحضر لنا أي شيء لنأكله.
خرج سيلوت من الغرفة فجلست أفكر في ذلك الحلم ليس هو فقط بل وباقي الأحلام التي سبقته تلك الفتاة الهاربة وهذا الصبي الذى كان يبكي عند جثة ملقاة على الأرض وذاك المكان الذي يتواجد به الملك بل ويتحدث لغتنا ماذا يحدث هل هناك علامات لم أفهمها أم أنها مجرد أضغاث أحلام أبت أن تتركني أنعم بحزني فأرادت أن تزيدني قلقا وتوترا، عاد سيلوت يحمل بين يديه طبقا مملوءًا بالفاكهة نظرت إليه عاقدًا حاجبي فقال وهو يشير من النافذة إلى شيء لم أره من مكاني:
ـ لا تقلق لم أسرق.. تلك الشجرة زرعتها وأنا صغير في فناء البيت المجاور كنت صغيرا جدًا فأذن لي أصحاب البيت أن آخذ من ثمارها وقتما أشاء.
ـ حسنًا أي نوع من الفاكهة تثمر تلك الشجرة؟
ـ البرتقال.
ـ حسنًا هنا برتقالة واحدة فمن أين أتيت بالموز والتفاح؟

.

فقال وهو يحاول أن يتمالك نفسه من الضحك:
ـ لقد سرقتهم فانا لم أجد سوى تلك البرتقالة في الشجرة.
جلس سيلوت بجانبي تحدثنا قليلا عن ذكرياته وذكرياتي في الطفولة فرغم اختلاف عوالمنا ولكن الطفولة واحدة ببراءتها ومكرها المصطنع لعبها وجدها المزيف حتى الضحكات والبكاء لنفس الأسباب توقفنا عن الحديث لبرهة قبل أن أقف من مكاني قائلا:
ـ هيا بنا سنأخذ جولة في المملكة.
ـ حسنًا بأي شيء تريد أن تبدأ القصر أم السجن؟
ـ الباحة.. باحة المملكة فمنها سأعرف لماذا يدخلون السجن وكيف يرون القصر.
بدلنا ملابسنا ثم خرجنا مرتجلين سرنا في شارع ضيق عرضه لا يتعدى الخمسة أمتار فقال سيلوت:
ـ المملكة عبارة عن رقعة دائرية منتصفها الباحة ومتفرعة لأكثر من خمسين شارعًا بدايتهم السور ونهايتهم الباحة.
فقاطعته متسائلا:
- وأين يقع القصر؟
ـ شرق الدائرة والسجن غربها فأول ما تبدأ به الشمس هو القصر وتنتهي عند السجن القصر له سور خاص به ويحتوي على الديوان والكتبة أما السجن فيحتوي على ثلاثة مباني أحدهم المسجونين والآخرين مخصصين للجيش.
ـ كيف عرفت كل تلك المعلومات؟!
فتنهد سيلوت ثم قال وهو يشير للمبنى المجاور لنا:
ـ هنا تعلمت كل شيء.

.

نظرت حيث أشار فوجدت مبنى مكونا من أربع طوابق يشبه المدارس في عالمنا وتخرج منه أصوات همهمات أطفال فتساءلت موقنًا بالإجابة:
ـ أهذه مدرستك؟
ـ نعم.
تابعنا السير حتى قابلنا هواءً شديدا أنعش صدورنا نتيجة خروجنا من هذا الشارع الضيق إلى الباحة كانت رقعة دائرية الشكل كما أخبرني سيلوت سابقًا واسعة مرصوفة بقطع الجرانيت الأسود الخشن يقبع على أطرافها كثير من التجار داخل محلاتهم المتراصة بأطراف الباحة.. كانت مزدحمة رغم شدة حرارة الشمس تقدمت حتى دفنت جسدي وسط المارة وسيلوت يتبعني كانت الوجوه راضية ملامحها قانعة إلى حد كبير لم تكن تللك هي الصورة التي نسجها خيالي عن سكان تلك المملكة نظرت إلى سيلوت متسائلا بصوت منخفض:
ـ سيلوت كيف لهؤلاء الناس أن يكونوا راضين وهم كما أخبرتني في بلاد الظلم.. أين السخط الناتج عن الظلم؟
ـ لقد اعتاد الناس هنا على الظلم.
ـ اعتادوا على الظلم! الظلم كحد سيف يضرب ظهرك وفي كل مرة تصرخ بدون صوت إلى أن يمتلئ جوفك فتنفجر الصرخات بداخلك لتطيح بكل شيء أولها خوفك وآخرها عنق الظلم.. تلك الوجوه راضية ومتقبلة وقانعة.
أمسك سيلوت بيدي ثم ضغط على مخارج ألفاظه وهو يقول:
ـ تلك الوجوه ورثت جمودها من آبائها.
كنا قد وصلنا لمنتصف الباحة حيث يقبع تمثال ضخم من الحجر لرجل طويل الجسم عريض الصدر يرتدي زي الحرب ويمسك بيده سيفًا

.

يرفعه لأعلى وجهه منحوت بعناية لتبرز ابتسامة تبدو أنها ابتسامة منتصر.
نظرت لسيلوت دون أن أسأله فأجاب:
ـ هذا التمثال للملك ساري عم الملك آجات مؤسس المملكة وصاحب كل تلك الجرائم.
عاودت النظر إليه ثم تحركت ببطء دون أن أحرك عيني عنه فارتطمت بشخص فنظرت أمامي فزعا.
كان رجلا من المارة طاعن في السن محني الظهر زيه بسيط فهدأت قليلا قبل أن يصيح بي:
ـ ما بك يا رجل لماذا تنظر خلفك هل أمنت قبلتك؟
لم أفهم جملته فرفعت يدي على صدري قائلًا:
ـ آسف أنا غريب هنا ومازلت أتعرف على المملكة.
ـ غريب! أهلا بك في مملكتنا أتمنى أن تقضي فيها أيامًا رائعة ولكن عليك أن تهجر ما فاتك وانظر أمامك جيدًا فما تراه عينك هو الحق ولن يغنيك ألف وصف عن السقوط ولن تخونك عينك أبدًا.
قالها الرجل ثم اختفى بين الناس. نظرت لسيلوت فابتسم لي دون أن ينبس بكلمة ثم تابعنا السير كان يومًا شاقًا فمن حرارة الشمس إلى متطلبات معدتي الخاوية أنهكت تمامًا فعرض على سيلوت الرجوع فأومأت له برأسي بالموافقة.
أدرنا ظهورنا إلى طريق العودة بينما لم تخلُ رأسي من عبارات الاستفهام والاستغراب والحيرة أيضًا كيف سأعبر كل تلك الحوائط لأحرر أبي وآخذ الكتاب ينتابني شعور بالضعف يكاد يخنقني أنا لست فارسًا أسطوريا أنا مجرد شاب فشل في كل شيء حتى الحب لا أعلم

.

لماذا تقطن بقلبي حتى جعلتني ألعن هذا الشعور المسمى بالحب لم تكن الأجمل بين النساء ولم تكن الأذكى ولكنها خلقت بيدها مقاليد حكم قلبي لازلت أتذكر يوم أن رأيتها لأول مرة وقفت بعيدًا أنظر إليها وهي تتمايل بين صديقاتها تحركت إليها وقلبي كعادته يدق دقاته المعتادة والتي أعرفها جيدًا دقات غير منتظمة ولكنها أجمل لحن سمعته تشعر وكأنه يريد أن يسبقني إليها لينتهي من خوفه حقيقة لا أعلم ما سر ارتباط الحب بالخوف هل هو كالتضاد في المعنى يبرز الحب ويقويه أم أنه كالملح لن يتقبل الطعام إلا به.

ـ خالد خالد أين ذهبت أنا أتحدث منذ ساعة.

ـ لا تكذب أنت لم تنطق بكلمة.

ـ فعلا ولكني رأيتك شاردًا فلم أرد أن أفوت الفرصة.

ـ ماذا تريد يا سيلوت؟

ـ أريد أن أعرف ماذا سنفعل نحن هنا منذ يومين ولم نفعل أي شيء.

ـ حقيقة أنا لم أضع أي خطة بعد.

ـ أنا عندي خطة.

ـ حقًا هيا أخبرني.

ـ لا سأخبرك غدًا.

ـ ولماذا غدًا هيا أخبرني لا تكن سخيفًا.

ـ أريد أن أتأكد من شيء أولا.

كنا قد وصلنا أمام المنزل فنظر سيلوت للبيت المقابل نظرة طويلة فقلت مازحا:

ـ هل توسوس لك نفسك بسرقة بعض من الفاكهة مرة أخرى.

.

ـ لا هذا البيت كانت تسكن فيه فتاة تدعى "ليلى" تمنيت لو أنها كانت مازالت هنا.
ـ هل أحببتها؟
ـ لا أعرف كنت مازلت صغيرًا عندما كنا معًا هل تعرف أولئك الأشخاص الذين دائما يفتعلون معك المشاكل لكي يروك في أوج غضبك؟
ـ ولماذا كانت تفعل؟
ـ قالت لي يومًا أنها تحب ملامحي عندما أغضب وكنت أنا لها مهرجا فكنت أحب ملامحها عندما تضحك.
ـ وما رأيك بملامحي عندما أكون جائعًا؟ هيا بنا يا رجل دعك من تلك المشاعر فلا هي هنا ولا أنت ملامحك جميلة على أي حال.
لففت يدي حول عنقه ثم دلفنا إلى الداخل لملمنا ما تبقى من الطعام، سألني سيلوت سؤالا مقتضبًا:
ـ وماذا عنك؟
فرددت عليه وأنا أفهم جيدا ما يقصد:
ـ لا أفهمك.
ـ الحب يا رجل كيف تسير أمورك.
ـ الأمور دائمًا في الحب لا تكون بخير أحيانا أشعر أن هذا الشعور يتسلل إلينا ليقتل بداخلنا كل جميل ويرحل، كل منا ذاق مرارته ونهل من حلاوته ولكن أسوأ شيء أن حلاوته تأتي أولا ثم تتبعها المرارة فتبقي أثرها شبحًا يلاحقنا...
دعك من كل هذا المهم أننا لابد وأن نتحرك سريعًا.
ـ أين سنتحرك ولماذا؟

.

ـ سيلوت هو انت غبي؟؟
ـ خالد حسّن لغتك سينكشف أمرنا.
ـ دا كل اللي همك وبعدين أمرنا إيه هو في حد غيرنا هنا.
ـ أنا أمازحك أنا أحب لغتك العشوائية كثيرًا.
ـ أمازحك.. نام يا سيلوت وأنا هخرج أحترق وآجي.
جلست أمام المنزل وأشعلت سيجارة ثم أغمضت عيني وأنا أسحب أول نفس منها أدخلته لأعماق صدري نظرت للسماء أفكر في والدي الذي أتواجد معه في مكان واحد كيف ستكون ملامحه وكيف سيكون أول لقاء بيننا.. أتمنى أن تسير الأمور بخير، ساعدني يا الله.
مرت تلك الليلة ثقيلة جدًا فما أصعب تلك الليالي التي تتذكر بها كل شيء حاولت نسيانه وكأنك تشاهد حياتك من بعيد رغمًا عنك تتمنى أن تغلق عينيك في أي لحظة لينتهي ذلك الألم ولكن الألم حينها يكون بداخل رأسك لن تستطيع الهروب منه.
اليوم التالي أفزعني سيلوت عندما صاح بي وأنا نائم:
ـ خالد خالد استيقظ!
نهضت بسرعة من مكاني متسائلا:
ـ في إيه حد عرف إننا تبع الملك آجات؟
ضحك سيلوت حتى ارتمى على السرير من شدة الضحك فسألته بغضب بعدما شعرت بسذاجة رد فعلي:
ـ إيه اللي حصل اتكلم؟!
نهض سيلوت وهو يحاول كتم ضحكاته قائلا:
ـ الآن سأخبرك بخطتي التي ستمكننا من دخول القصر.
أخذت نفسًا عميقًا ثم زفرته ببطء وأشرت برأسي لسيلوت فتابع كلامه:

.

ـ بعد يومين ستقام مبارزة والفائز بها سيكون الحارس الأول للملك "مُهَرّت".
ـ مُهَرّت دا اسم ملك بذمتك؟!
ـ وهل أنت ستخلد؟؟ كلها أسماء يا صديقي.. ستشارك في هذه المسابقة وعليك أن تفوز حينها ستكون داخل القصر.
جلست على طرف السرير أفكر قليلا قبل أن أقول بالفصحى التي تدل على جدية كلامي:
ـ إذن سأشارك أنا في المسابقة.
ـ نعم.
ـ وعليّ أن أهزم جميع المشاركين الذين سيكونون من أفضل الفرسان في المملكة.
ـ فعلا.
ـ ثم أفوز وأدخل القصر لأكمل باقي الخطة.
ـ الآن أنت فهمت كل شيء يا صديقي.
ـ بالطبع ولكن هناك شيئا واحدًا لا أفهمه.. لماذا جئت معي سأفعل أنا كل شيء وأنت ماذا ستفعل؟!
لف سيلوت يديه حول صدره ثم قال:
ـ أنت بمجرد دخولك القصر ستكون مقيد الحركة لابد وأن يكون أحدنا حر الحركة فنحن لا نعرف ماذا يخبئ لنا القدر.
ـ حسنًا وأيضا من الخطأ أن نضع البيض كله في سلة واحدة.
ـ بيض!! صحيح أنا جائع ألست جائعًا؟
سألته متجاهلا كلامه:

.

ـ سيلوت كيف سأهزم المشاركين في المسابقة من المؤكد سيكونون فرسانًا وأنا لست كذلك!

جلس سيلوت بجانبي ثم وضع يده حول عنقي قائلا:

ـ فقط ضع صورة والدك نصب عينيك وتذكر هم هدفهم المنصب أما أنت فهدفك أغلى وسيتحق كل قطرة تنساب من جسدك.

أطرقت رأسي في شرود أحاول أن أتذكر تلك الصورة التي سأضعها نصب عيني هي مجرد صورة قديمة لشاب يحمل طفل رضيع وينظر إليه وفي عينيه سعادة لم أرها من قبل.

ـ خالد لماذا لم ترد أنا أتحدث.....

قاطعته قائلا بسخرية:

ـ أخبرتك قبل ذلك أنك كذاب صحيح؟

ـ صحيح.

ـ حسنًا لا جديد.. اذهب الآن وأحضر لنا شيئًا لنأكله.

خرج سيلوت وتحركت أنا إلى الخزانة التي قد وضعت بها سيفي منذ أن جئت إلى هنا حملته بين يدي فرأيت انعكاس صورتي على نصله اللامع... ياه لقد تغيرت ملامحي كثيرًا شعري الطويل المنسدل على كتفي ولحيتي التي تجعلني أبدو كمحارب من العصور الوسطى لم يكن التغيير خارجيًا فقط ولكنه كان داخليا أيضًا أنا لم أعد أخشى الموت ليس بسبب سيف في يدي سأدافع به عن نفسي ولا ثقة بحظي اللعين ولكن لأن الموت سلبني من هذه الحياة قبل ذلك سأدخل المسابقة ولكن الأفضلية ستكون لي لأني سأرحب بالموت كما أرحب بالفوز سأضعهم أمامي على مسافة متساوية لأرى من منهم سيكون جائزتي، وضعت السيف في الخزانة وخرجت من المنزل أتفقد الطرقات الهادئة الأمان

.

الذي يكسو الوجوه الرضا المعلن على رؤوس الأشهاد كنت أسير بينهم جسدي فقط ولكن عقلي يمطرني بالأسئلة التي لا أعرف إجابة أي منها بينما قلبي يكتفي بنبضاته الحزينة التي تعزف ألحانا رتيبة مل هو كما مللت أنا منها دخلت إلى الباحة لم أتبين ملامح من حولي بوضوح في البداية ولكن شيئا فشيئا رأيت البائعين في أماكنهم تبدو على ملامحهم العزة والمشترين يتجهون إلى من يريدون بمحض إرادتهم دون شد أو جذب من جهة البائعين لم يجعلني أفيق من شرودي وأنتبه لمكاني سوى صوت أحدهم يحدث شخصًا بجانبه قائلا:

ـ هل سمعت عن المسابقة التي ستقام لتحديد حارس الملك؟

رد عليه الآخر:

ـ بالتأكيد فأنا أنتظرها بفارغ الصبر ستكون مسابقة حامية فهي لم تُقَم منذ سنوات عديدة منذ أن فاز بها الغريب.

رد عليه الآخر قائلا:

ـ نعم ولكنه شيء غريب فهناك أخبار تقول بأنه اختفى فجأة وأخبار أخرى تقول بأنه قتل لا أحد يعلم ماذا حدث.

وقفت مكاني وأنا أشعر بأن الدم يتدفق كله إلى رأسي.. ماذا يحدث أنا لم أعد أفهم شيئا تقدمت نحو الرجلين متسائلا:

ـ معذرة سيدي هل تعلم اسم الغريب هذا؟

ـ للأسف لم يعرف أحد اسمه.

تركتهما وواصلت سيري بينما قد شُل عقلي تماما اصطدمت بأحدهم قد ظهر أمامي فجأة فنظرت إليه فوجدته نفس العجوز الذي قابلته منذ أيام فأمسك كتفه قائلًا:

ـ لا تلغي عقلك يا بني إياك أن تفعل.

.

ـ كيف ألغي عقلي؟
ـ لا تحمله فوق طاقته اتبع سريرتك ولا تنظر بعينك فقط فالعين خادعة.
رحل الرجل بينما وقفت أنا مكاني متحجرًا أنظر يمينًا ويسارا كأني تلقيت لتوي ضربة شديدة على رأسي عدت أدراجي إلى المنزل لا أفكر في شيء لابد وأن أفوز لأعلم ولأفهم الأمور الآن تحتدم ولابد وأن ألعب دورًا أكثر فاعلية في تلك المسرحية الغامضة سأشق الطريق من الكالوس إلى المسرح شقًا سأقف في منتصفه وأصيح ماذا يحدث من أنتم ولماذا تقحموننا في كل هذا أين الشر وأين الخير ماذا أمثل الآن هل أنا على صواب أم أن الخطأ يحركني كدمية بين أصابعه هل لي حق الاختيار أم أني أصبحت مسخًا.. مر اليومين ببطء شديد بينما لم أتحدث مع سيلوت كثيرًا ولم يجبرني هو على الحديث كنت أجلس في غرفتي لساعات أتفحص روايتي أقلب صفحاتها فتقطر بعضها شهدًا والآخر دمًا علامات استفهام تملأ صفحاتها ومازالت هناك بعض الصفحات بيضاء فارغة لابد وأن أملأها أحببت دائما الروايات ذات النهاية غير المثالية التي يموت فيها البطل فأنا مؤمن تمامًا بأنه ليس ملاكا هو شخص مذنب جبان ولكن الكاتب يستهزئ بنا دائما فيقنعنا أنه خير إنسان وجد على الأرض والآن أنا من سيكتب النهاية فاحبسوا أنفاسكم واستعدو جيدا.
خرجت أنا وسيلوت إلى الفناء الخارجي للبيت نظرت إليه نظرة مطولة عينانا تتحدث وقلوبنا تشهد على حديثنا ركب كل منا جواده فانطلقنا إلى ما يسمونه بالحدث الأهم وصلنا إلى الباحة التي قد تحولت إلى ساحة معركة كبيرة محاطة بسياج حديدي يسمح برؤية من بداخل الحلبة بدأت الجموع في الاصطفاف وعلى الجانب الآخر مقصورة خشبية مكسوة

.

بالحرير الأحمر علمت أنها المقصورة الخاصة بالملك وحاشيته.. وقف رجلًا يرتدي الزي الحربي على مكان مرتفع يصيح بكل قوته:
ـ على المتسابقين الاتجاه نحو الجانب الشرقي للباحة.
رددها ثلاث مرات فتحركت بسرعة أنا وسيلوت إلى هناك أشار لنا أحدهم بالترجل ففعلنا بعد دقائق صاح رجل آخر ولكنه كان في وسط الحلبة قائلا:
ـ عدد المتسابقين في الجولة الأولى اثنا عشر ستقام قرعة لتحديد كل اسم كل متسابقين سيواجهان بعضهما سيكون لدينا ستة فائزين سيخوضون الجولة التالية وتذكروا لا نريد قتلى الخاسر هو من يسقط ولا يستطيع القيام أثناء العد عشر عدات.
دخلت أنا بعدما ودعت سيلوت على مدخل الحلبة أشار لي الرجل على المتسابق الذي سيكون ضدي نظرت باتجاهه فلم يخيب ظني كان رجلا طويلا عريض المنكبين تعكس عيناه ذكاءً شديدا ابتسم فأبى وجهي أن يبتسم نظرت إلى عينيه مباشرة وكأني أقول له لم يعد هناك وقت للود لبس كل منا خوذته التي تحمي رأسه ووجهه ليكتمل الدرع الحديدي فوق أجسادنا دقت الطبول ثلاث مرات فتقدم نحوي بخطوات سريعة فأسرع ثم أسرع فسحبت سيفي ورفعته باتجاهه ليلتقي السيفان عاليا تذكرت قول الملك آجات عندما أخبرني بأن السيف هو صديق لي فرجوته بداخلي أن يكون كذلك تبادلنا الضربات بالسيوف ظللت أبحث عن ثغرة أصل بها لجسده ولكنه كان بارعًا فسبقني بضربة على رأسي فسقطت أرضا ابتعد قليلا حتى يتسنى لي النهوض نهضت سريعًا بينما تتردد في أذني كلمة "الغريب" لقد فعلها أبي قبل ذلك ولابد أن أفعلها أنا أيضا رفعت سيفي فتقدم إليّ قابلته بركلة في صدره تبادلنا الضربات

.

والسقطات حتى أنهكنا تماما الغبار يرتفع والمشاهدين يطلقون الصفير والتشجيعات صدورنا ترتفع وتهبط بسرعة شديدة وفجأة سقط الرجل مغشيًا عليه لم أكن أنا الفاعل نظرت إليه باستغراب وأنا كالعادة لا أعلم ماذا حدث ولكني كنت سأفعل مثله بعد دقائق فقدمي لم تعد تقدر على حملي جاء رجل ثم جثا على ركبتيه أمامه وبدأ بالعد عشر مرات ثم صاح قائلا:

- الفائز الأول هو السيد تاسلوس!

خرجت من الحلبة بعدما أعلن المنادي عن فوزي ارتميت بجسدي أمام المخرج فهرول سيلوت ناحيتي نزعت خوذتي وشربت قليلًا من الماء همس سيلوت في أذني قائلًا:

- عليك أن تشكرني على هذا المعروف.

حاولت التقاط أنفاسي بهدوء متسائلا:

- ماذا تقصد؟

- هل تظن أن الرجل خر أمام قوتك الجبارة أنا من فعلت..

أخرج من جيبه إبرة مخدرة وأنبوبة ثم قال مبتسما:

- هكذا تسير الأمور دائمًا يا صديقي.

أمسكت يده قائلا:

- شكرًا لك يا صديقي لو تأخرت دقيقة واحدة كنت سأسقط أنا دون أي مخدر.

بدأ الفائزون يخرجون واحدًا تلو الآخر فصاح الرجل من وسط الساحة الجولة التاليه وهي الأخيرة ستكون بعد ساعة ستكون المواجهة مفتوحة ومن يسقط سيفه أولا يعد خاسرًا.

.

أمسك سيلوت بيدي وسحبني فنهضت تحركنا بعيدًا عن الساحة حتى أصبحنا بمفردنا تمامًا فسألته بنبرة جادة:

- هل أنت مستعد؟

** بعد ساعتين **

ضربت بطن جوادي فأسرع باتجاه البوابة والتي كما توقعت لم يلقِ لها أحد بالًا الكل منشغل بالمسابقة ومن سيكون الفائز وضعت يدي على الحقيبة المعلقة بكتفي لأتأكد من وجود الكتاب بعدت مسافة ليست بقليلة عن المملكة حتى وصلت إلى مكان اتفقت عليه مسبقًا مع سيلوت.. سيلوت! صحيح لقد نسيت أمره أتمنى أن يخرج من تلك المسابقة التي أقحمته بها على خير ترجلت من فوق حصاني وارتميت على رمال الصحراء الساخنة أنظر للسماء الزرقاء الصافيه ليت حياتنا كانت بتلك الصفاء ليتنا ما عرفنا معنى الفقد ليت الحزن كان له عمر محدد نعلم متى سينتهي أو على الأقل نوقن بأنه سينتهي شعرت بصوت غريب في رأسي كلمات تتردد ومشاهد تتحرك أمام عيني (حارتنا وشخص ملقى على الأرض بكاء والدتي والناس يتوافدون إلى بيتنا) وضعت رأسي بين راحتي يدي محاولا طرد تلك الهلاوس من داخلها ولكن المشهد تحول لمشهد آخر (في طريق واسع مزدحم بشباب وفتيات وفجأة صوت اصطدام سيارة بفتاة لم أتبين ملامحها) ارتعش جسدي وشعرت ببعض الدموع تنساب على وجنتي لم يرحمني من تلك الحاله سوى صوت أقدام خيل تقترب مني فظهر لي سيلوت من بعيد يلوح لي بسيفه في الهواء وقف أمامي مباشرة ثم ترجل من فوق جواده قائلا:

- كنت سأموت يا خالد.

- علمت أنك ستنجح في ذلك. أخبرني ماذا أبليت؟

.

ـ لا شيء طوال المسابقة ظللت أهرول بينما يتبعني أحدهم وعندما يمل مني يذهب لآخر وهكذا حتى تبقيت أنا ومتسابق آخر فرميت سيفي مباشرة حقيقة أنا لا أحب وظيفة الحارس تلك.. وأنت أخبرني ماذا فعلت؟

أشرت بيدي على الحقيبة وأنا أقول:

ـ لقد فعلتها الكتاب معي.

ـ حقًا أعطني إياه.

تحركت خطوتين للأمام لأصبح أمامه مباشرة ثم قلت هامسًا:

ـ نسيت أن أشكرك على المجازفة بحياتك رغم أني على يقين بأن هذا لم يكن ضمن الاتفاق بينك وبين الملك آجات.

ـ اتفاق! ماذا تقصد؟

ـ سيلوت أعلم أنه شيء محبط جدًا أن يتم كشف خطتكم في اللحظات الأخيرة ولكن دائما الأخطاء البسيطة التي لا نلقي لها بالا توقعنا في المشاكل.

ـ خالد انا لا أفهمك!

ـ لقد سألتني ماذا سنفعل لنحرر والدي بينما لم أخبرك بأمره، أرسلان أيضا كذلك لم أخبرك بأمره ولا أنني أريد قتله بالإضافة إلى طريقة اختفاء والدي عندما كنت بحاجة لدخول القصر.. كل ذلك كنت أحتاج لأن أفهمه.

ـ خالد....

ـ سيلوت أنا لا ألومك إطلاقًا ربما لو كنت مكانك لفعلت مثلك أنا لست صالحًا كما تظن.. دعنا من كل هذا الآن عليك أن تذهب للملك آجات وتخبره بأن الكتاب معي ولن أعطيه إياه إلا بعد أن يسلمني والدي.

.

ـ من فضلك سامحني هناك أشياء تكون أقوى من أن نرفضها وأخطر حتى من أن نبدي فيها رأينا.
- حسنا أعلم ذلك جيدا لن أغفر لك حتى تذهب لآجات وتخبره بأن يأتي بوالدي وإلا سيعود الكتاب إلى المملكة الشمالية.
ـ حسنًا سأفعل ذلك، خذ حذرك فأنت الآن قاب قوسين أو أدنى من السقوط في براثن الملوك إياك أن تعبث معهم.
ـ حسنًا دعني أقلق بشأن هذا واذهب الآن.
امتطى سيلوت جواده وانطلق بينما ارتميت أنا بجسدي على الرمال أغضمت عيني ليدور بعقلي ماحدث منذ ساعتين.
**قبل ساعتين **
بدأ الفائزون يخرجون واحدًا تلو الآخر فصاح الرجل من وسط الساحة:
ـ الجولة التالية وهي الأخيرة ستكون بعد ساعة ستكون المواجهة مفتوحة ومن يسقط سيفه أولا يعد خاسرًا.
أمسك سيلوت بيدي وسحبني فنهضت تحركنا بعيدًا عن الساحة حتى أصبحنا بمفردنا تمامًا فسألته بنبرة جادة:
- هل أنت مستعد؟
رد عليّ سيلوت قائلا:
- مستعد لماذا؟
- الآن ستتغير الخطه ستذهب أنت لاستكمال المسابقة وسأذهب أنا إلى القصر فأنا لن أفوز وليس لدينا فرصة أخرى.
ـ ولكن لو كشف أمرك سيقتلونك في الحال.
ـ أعلم ذلك جيدًا ولكنها الفرصة الأخيرة لي وإلا لن أدخل القصر لو مكثت هنا لقرون قادمة.

.

- وماذا عني؟
- ضع صورة والدتك نصب عينيك، أليس هذا كلامك؟
- خالد إنه مجرد كلام.
- سيلوت ليس لدينا وقت وأنا واثق جيدا أنك ستدبر الأمر.

بدلت ملابسي مع سيلوت ثم امتطيت جوادي متحركًا باتجاه القصر ظهر أمامي من بعيد قصر عظيم طوله يقرب من اثني عشر مترًا تزين واجهته نقوش تشبه النقوش الرومانية محاط بسور ضخم في منتصفه بوابة حديدية يبلغ طولها ثلاثة أمتار يقف عليها جنديين يرتديان درعًا حديديا يقفان وكأن على رؤوسهم الطير اقتربت منهم فتحرك أحدهم نحوي متسائلا بصوت أجش:

ـ من أنت وماذا تريد؟
ـ أنا غريب وأريد أن أقابل الملك.
ـ مقابلة الملك ممنوعة اذهب من هنا.
ـ أخبرتك بأني غريب ومعي رسالة للملك عليّ أن أسلمه إياها.

صمت الرجل قليلا فأتبعت قائلا:

ـ حسنا سأذهب ولكن اعلم بأن الملك لو علم بأنك منعتني سيكون عقابك غير هين.
ـ انتظر لحظة حتى أخبر الملك.

فتح الحارس البوابة ودخل لبضع دقائق ثم عاد إليّ قائلا'

ـ تفضل الملك بانتظارك.

دلفت إلى الداخل فكان لجمال المنظر أثر طيب على قلبي شعرت بالتوتر يخف تدريجيا كان القصر محاطا بحديقة كبيرة تملؤها جميع أنواع الأشجار والأزهار يشقها طريق مرصوف بالرخام الأسود يصل

.

إلى بوابة القصر ما إن وصلت أمامها حتى فتح أحدهم بابًا ثم أشار لي بيده فتبعته إلى بهو فسيح خالٍ من الأعمدة إلا ما ندر طليت جدرانه بلون أبيض شاهق يريح الفؤاد وفرشت أرضه برخام أسود لامع مكسو بقطع من السجاد أبيض اللون، الأركان تنتشر بها الأرائك بوسائد ملونة أغلبيتها من اللون الأحمر لم أفق من شرودي إلا على صوت يأتي من أعلى:

ـ من أنت؟

استدرت ببطء فرأيت رجلا مسن يبدو عمره بضع وثمانين سنة مورد الوجه كثيف الشعر واسع العينين لحيته يشوبها البياض ولكن على استحياء منه يمسك بيده عصا خشبية سوداء اللون له هيبة لا تخطئها العين كرر سؤاله مرة أخرى:

ـ من أنت وماذا تريد؟

ـ أنا غريب جئت لأسرق الكتاب الأبيض.

ـ أنت صريح جدًا هل هذا ذكاء منك أم غباء مصطنع؟

ـ هذا يتوقف على تعريفك للذكاء.

تحرك الملك خطوتين لليسار ثم جلس على أقرب كرسي ثم قال بنبرته الهادئة:

ـ الذكاء هو شخص أعزل وحيد يتسلل إلى مملكة ليسرق كتابًا فيجد نفسه مخطئا حيال الأمر برمته فآثر السلام على أن يقتل.

ـ والغباء؟

ـ هو نفس الشخص ولكنه عني كل حرف قاله.

جلست على الكرسي المقابل له ثم قلت بثقة مصطنعة:

ـ هلا جاوبتني على بعض الأسئلة؟

.

ـ تبدو على وجهك الحيرة.
ـ نعم أكثر مما تتوقع...
ـ اسأل.
ـ ما اسم الغريب الذي مكث معك هنا لأكثر من خمسة وعشرين عامًا؟ وأين ذهب؟
ـ أنت خالد صحيح؟
ـ نهضت من مكاني رغمًا عني وأنا أقول:
ـ نعم أنا خالد هو أبي صحيح؟
ـ نعم جاء هنا منذ زمن بعيد كان مايزال شابا.
ـ أين هو ولماذا لم يعد إلينا كل تلك السنوات؟؟
ـ الخوف هو ما منعه من أن يعود إلى زمنكم فقد هدده أخي ملك المملكة الشمالية إن عاد دون الكتاب سيقتله.
ـ ولماذا لم تعطه الكتاب؟
ـ هو من أبى أن يفعل، أبى أن يخطئ أو يكون سببا في تدمير أحد.
فقلت بينما يزعجني صوت دقات قلبي العالية:
ـ أين هو؟
ـ لقد اختفى فجأة من المؤكد أن آجات قد اختطفه.
ـ لماذا أمرت أرسلان بقتل أخيك؟
ـ من أخبرك بهذا؟
ـ الملك آجات.
ـ حسنًا أتعلم لماذا يريد آجات الكتاب ومن قبله أبوه؟
ـ نعم لأن به تاريخ المملكة منذ نشأتها.

.

ـ صحيح ولكن تلك نصف الحقيقة أما نصفها الآخر فهي أن الكتاب يكتب به التاريخ تلقائيًا دون تدخل منا يقولون بأن كبير الجان أمر أتباعه بفعل ذلك والآن دعني أريك ماذا حدث.

ضرب الملك الأرض بعصاه فأتى أحد الحراس فقال له:

ـ أخبر أرسلان أن يأتي إلينا في الغرفة الخاصة.

قام الملك مستندًا على عصاه فتبعته إلى الطابق العلوي ثم إلى غرفة واسعة بها باب ضيق يتسع لدخول شخص كان الباب مفتوحا على طرقة طويلة بها أبواب كثيرة على جانبيها وقف الملك أمام الغرفة الأخيرة ناحية اليسار دفع الباب بيده فانفتح كانت الغرفة خالية تماما ليس بها سوى منضدة رفيعة مثبت عليها شيء زجاجي يشبه البلور ينير باللون الأحمر الخافت استدار الملك ناحيتي قائلا:

ـ لم يدخل هنا أي غريب أو حتى شخص عادي سوى أنت ووالدك.

ـ سيدي هل لي بسؤال؟

ـ أعلم ما هو سؤالك وسأجيبك عليه أنا لست مجنونا لأثق بشخص غريب لدرجة أن أطلعه على أسرار المملكة وأعظم شيء فيها ولكني قبل أن أكون ملكًا فأنا محارب في المقام الأول أستطيع معرفة ما يكمن بداخل شاب غريب مثلك أنت جئت هنا لتعلم فلست مقتنعا بما أخبرك به آجات عني خصوصًا بعدما ظل والدك هنا لمدة عشرين سنة دون أن يمسسه سوء.. والآن حان الوقت لتعلم وتفهم.

لم يمر كثير من الوقت حتى دخل علينا شاب في منتصف الثلاثينات من عمره طويل الجسم عريض الكتف أبيض البشرة شعره كثيف أصفر اللون عيناه خضراوان لحيته كلون شعره، خفيض الرأس يداه

.

مضمومتان إلى صدره، وعيناه مثبتتان على عيني الملك، وحواسه كلها منتبهة لتلقي الأوامر. رمقه الملك بنظرة حاسمة قبل أن يقول:
ـ جئت بك لأمر مهم اسمعني جيدًا عندما جئت هنا طالبًا حمايتي وضعتك في السجن ثم ظهرت براءتك فعفوت عنك والآن سترى دليل براءتك وسيخبرك خالد بما يقال عنك في المملكة الجنوبية لقد طغى آجات وتجبر وحان الوقت لتتحركوا.
ـ أنا طوع أمرك يا سيدي.
استدار الملك ناحية البلورة ثم وضع يده عليها فانشقت نصفين ثم ظهر الكتاب مضاءً باللون الأبيض الخافت حوله ثلاثة أحجار من اللون الأحمر بحجم قبضة اليد الواحدة مد الملك يده والتقط الكتاب ثم بدأ يقلب صفحاته حتى توقف عند صفحة معينه وفجأة أضاءت الصفحة باللون الأصفر الباهت كان المشهد أقرب إلى ما نراه في أفلام الخيال العلمي الصفحات تعرض مشاهد حية أمامنا.
(الملك آجات يجلس في خيمة بجانب رجل مسن علمت من ملامحه أنه والد آجات الملك المقتول توجه آجات إلى أرسلان الذي يقف على باب الخيمة تحدث معه وبديا وكأنهما يتشاجران ثم خرج أرسلان من الخيمة فأشار آجات إلى بعض الجنود فهرولوا خلف أرسلان فأغلق آجات باب الخيمه ثم أمسك خنجرًا أخرجه من طيات ملابسه ثم طعن به والده)..
أغلق الملك الكتاب بينما بدأت عينه تندي بالدموع فمسحها بظهر يده قائلا بنبرة مهتزة:
ـ لم أحبذ الحرب يومًا ولكن الآن ألقي على عاتقكم أسر آجات ولكن دون قطرة دم واحدة.
نظرت إلى أرسلان فوجدته يثبت نظره إليّ فقلت له:

.

ـ آجات أخبر الجميع بأنك من فعلت الكل يصدقه حتى أوبال ليست بخير منذ أن سمعت عن ذلك.
نظر أرسلان إلى الملك وفي عينيه تثور براكين الغضب ثم قال:
ـ أعدك سيدي سأحضر آجات وأرمي به في السجن دون قطرة دم واحدة.
فرددت عليه قائلا:
ـ ولكننا سنحتاج إلى الكتاب معنا فبدونه لن يتحرك آجات من المملكة.
صمت الملك قليلا قبل أن يقول:
ـ لن يكون أغلى من أرواح الناس خذوه ولكنه مسئوليتكم عليكم أن تعيدوه هو وآجات.
مد الملك لي يده بالكتاب فأخذته ثم تحركنا خارج الغرفة وقف الملك فجأة واضعا يده على صدره فيبدو أنه قد أصيب بضيق التنفس بسبب صغر حجم الغرفة فاستند على يد أرسلان خرجنا من الغرفة إلى الطريقة تحسست سيفي فلم أجده فقلت لأرسلان:
ـ يبدو أنني نسيت سيفي في الغرفة سأجلبه واذهب بالملك إلى غرفته سأنتظرك أمام القصر.
بعد دقائق خرج أرسلان إليّ أمام القصر ممدت له يدي قائلا:
ـ اليوم هو أول يوم نتقابل ولكن علينا أن نتحد ونفكر كأننا شخص واحد.
رد عليّ بنفس نظرة الغضب التي لم تفارقه منذ أن كنا بالداخل:
ـ هل قابلت أوبال؟
ـ نعم قابلتها يبدو أنها تحبك كثيرًا.
ـ كيف حالها؟

.

ـ ليست بخير فهي فقدتك أنت ووالدها في آن واحد بينما الكل يتحدث بأنك من قتلت والدها الأمر ليس هينًا عليها.
ـ حسنا ماذا سنفعل الآن عليك فقط أن تتبعني عندما أخرج من هنا سيكون لدينا الوقت الكافي لنتحدث.
******
فتحت عيني فوجدت أرسلان يجلس بجانبي على الرمال فسألته:
- منذ متى وأنت هنا؟
ـ لا يهم المهم ماذا سنفعل ومن هذا الذي كنت تتحدث معه؟
ـ هذا صديق لي من المملكة الجنوبية ذهب ليخبر الملك بأن الكتاب معي وعليه أن يأتي بوالدي أولا قبل أن يأخذ الكتاب.
ـ أنت ابن الغريب صحيح؟
ـ نعم لم أره قط فقد جاء إلى هنا وأنا لازلت رضيعا.
ـ هو رجل طيب كان صامتا طوال الوقت سمعته يتحدث مع الملك عنك كان يشعر بأنك ستأتي إلى هنا كان دائما ما ينتظرك سيسعد كثيرا لمقابلتك.
ـ اشتقت إليه كثيرًا وما أعظم اشتياقك لشخص سمعت عنه طوال حياتك وعن حبه لك دون أن تقابله.. دعنا من كل هذا سأعلمك لعبة لعبتها مع أوبال وأحبتها كثيرًا.
مرت حوالي ثلاث ليالي وفي النهار الرابع توارى أرسلان خلف الجبل بعدما أخبره أحد المراقبين بأن الملك آجات قارب على الوصول إلينا وفجأة علت غبرة واضحة، فلما انقشعت لمحت الملك آجات بجانبه سيلوت ومن خلفهم عشرين فارسًا يرتدون الزي الحربي ترجل الملك من فوق حصانه ثم تقدم إليّ قائلا بنبرة حازمة:

.

ـ أعطني الكتاب.
ـ أين والدي؟
أشار الملك بيده فاتسعت الصفوف ثم تقدم نحوي رجل مسن أبيض الشعر هزيل الجسم وقف أمامي مباشرة متسائلا بنبرة باكية:
ـ أنت خالد؟
تقدمت إليه وعانقته عناقًا طويلا زفر كل منا آهات سنين مضت وعطب أيام قاسية كان كل منا كعود حطب مكتمل الاحتراق أمسكت يده هامسًا؛
ـ سيكون كل شيء بخير لا تقلق.
قاطعني صوت الملك آجات:
ـ أعطني الكتاب لا تضيع الوقت!
ـ لماذا اختطفت والدي لم يكن هذا ضمن الاتفاق.
ـ كنت أعلم أنك ذكي لن تتبع سوى بصيرتك.. أعطني الكتاب.
ـ الكتاب ليس معي.
نظر الملك إلى سيلوت ثم قال:
ـ اقتلوهم.
ـ انتظر الكتاب معي..
كان القائل هو أرسلان خرج من وراء الجبل ومعه أربعة فرسان فقلت بنبرة منخفضة:
ـ أربعة! الله يخربيتك!
ترجل أرسلان ثم وقف بجانبي قائلا:
ـ الكتاب معي ولكن قبل أن تأخذه لابد وأن يرى جنودك الحقيقة.
صرخ الملك آجات في جنوده:

.

- اقتلوهم!
خرج فارس من بين الصفوف نزع عنه خوذته فكان آزار صديق الملك اقترب منه متسائلا:
- أي حقيقة لا تريد أن نعلمها أيها الملك؟
- آزار امتثل للأمر وإلا سأعلنك خائنًا!
اقترب آزار من أرسلان ثم قال:
- أرني ماذا تقصد.
فتح أرسلان الكتاب وشاهد ما حدث من هروب أرسلان وقتل آجات لوالده كانت الدهشه على وجه آزار جلية.
- أنت يا آجات من قتلت والدك كيف فعلتها وكيف أقنعتنا جميعًا بحزنك وألمك على فراقه... مهلابيل ألقِ القبض على آجات هو رهن الاعتقال!
- أنا الملك وأنا من يعطي الأوامر!
اقترب منه آزار وهو يقول:
- وأنا رئيس الجيش وأقول لكم بأن الكتاب الأبيض كتب فيه بواسطة حماة التاريخ بأن آجات هو من قتل والده امتثل للأمر يا مهلابيل وإلا سنعلنك خائنا.
تقدم مهلابيل ناحية الملك فركض آجات نحوي مشهرًا سيفه في وجهي بينما شعرت بأن قدمي قد غاصت في الرمال لم يكن لدى عقلي الوقت الكافي لإصدار الأوامر لها بالتحرك وقبل أن يخترق السيف جسدي وقف سيلوت أمامي فاخترق السيف جسده... التف الجنود حول آجات وقاموا باعتقاله بينما سقطت سيلوت أرضًا جثوت على ركبتي رافعا رأسه بين يدي:
- سيلوت من فضلك بالله عليك لا تمت أرجوك..!

.

ـ سامحني يا خالد لم أكن يومًا خائنا هددني الملك بحياة والدي والآن أنا أدفع حياتي ثمنًا لكل ذلك.
ـ سيلوت أرجوك دعك من كل هذا فقط قم معي أرجوك.
ـ لو قمت معك ستعطيني سيجارة لأحترق بها؟
ـ ماذا... لماذا لم ينزف جسدك دمًا!
ـ لقد منع الدرع اختراق السيف لجسدي ولكني أحببت خوفك عليّ فتماديت.
ضحكت ضحكة عالية وعانقته بشدة لم يكن سيلوت سيئا ولكنه كان مثلي اختلط الحق عنده بالباطل فهوى في الظلمات حتى بدأ يعتاد الظلام فظهرت حينها الخيوط البيضاء الرفيعة التي تحتاج لأن نتبعها حتى نصل إلى الطريق الصحيح.
قاطعت ضحكاته متسائلا
- سيلوت صحيح لقد نست أمر والدتك
- لا تقلق أيها الغريب لقد أنهيت هذا الأمر فى اليوم الذى أخبرتك فيه بأمر المسابقة لقد جعلته يبكى دما وأنا أقتلع عيناه بيدى
- سأفتقدك أيها المجنون
اتجهت ناحية والدي وعانقته بشدة وعيني بدأت تذرف دموعًا تقدم أرسلان وآزار نحوي شكروني على التضحية بحياتي فشكرتهم أنا كذلك فبقدر احتياجهم لي كنت أنا أيضا أحتاج لوالدي.
ودعت سيلوت وأعطيته سيفي ثم ودعت أرسلان وآزار فتلك آخر مرة يستطيع فيها العالمين التواصل معًا همست في أذن أرسلان قائلا:
ـ أخبر الملك أن يسامحني.
عقد حاجبه متسائلا:

.

ـ لماذا يسامحك؟!

ـ أخبره فقط بذلك. هيا بنا يا مهلابيل.

أمسكت بيد والدي فأمسك مهلابيل بيدي بدأت الأرض تهتز حينها سمعت صوتًا من بعيد يقول:

ـ انتظر انتظر لا تذهب!

شعرت بانعدام الجاذبية فعلمت بأننا قد تحركنا بالفعل فابتسمت ابتسامة خبيثة فتحت عيني فوجدتنا في منتصف غرفتي أخذت نفسًا عميقًا فعانقني والدي بشدة.

تلك هي الحياة تعطيك فرصة لاختيار طريقك من بين عشرات الطرق ليس كل ما تراه عينك حق فهو حق وليس كل ما يشعر به قلبك أنه باطل يكون كذلك عقلك يميل إلى الطريق السهل وإن كان به هلاكك وعينك تميل إلى الجمال وإن كان يحوي بداخله قبح العالم بأجمله وقلبك يميل إلى العاطفة وإن كانت من ألد أعدائك حينما تتعثر فكر بقلبك واحكم بعقلك وانظر بعينك لا تلغي أحدهم حتى لا تكون الصورة ناقصة.. هناك شيء أخير لم تعرفوه حينما عدت إلى الغرفة التي كان بها الكتاب لأجلب سيفي حينها تركته عن عمد فأنا كنت أعلم بأن النهاية قريبة فلابد ألا أعود خالي الوفاض فأبدأ من جديد لأبحث عن وظيفة بالكاد تجعلني على قيد الحياة فأخذت الثلاثة أحجار التي كانت تحيط مكان الكتاب ومن المؤكد بأن الملك حينما اكتشف هذا بعث الفارس الذي نادى على مهلابيل قبل رحيلنا بلحظات أعلم بأن سعرها يساوي ملايين الدولارات أنا لست ملاكًا هكذا أخبرتكم دائمًا وهكذا تصرفت.

ـ لقد تغيرت الغرفة كثيرًا قالها والدي وهو يجول بنظره في أنحاء الغرفة.

.

ـ لا يا حاج احنا رجعنا اتكلم عادي بقا.. شكرا يا مهلابيل ما تيجي تشرب شاي ولا ناكل حاجة مع بعض أهو يبقا عيش وملح.
ـ مما يعني؟؟
ـ امشي يا مهلابيل من هنا.
ـ حسنًا سعدت كثيرا لرؤيتك أيها الغريب.
ـ وأنا كمان مع السلامة يا مهلابيل.
رحل مهلابيل فنظرت إلى والدي قائلا:
ـ أنا هخرج أتكلم مع أمي عشان متتفاجئش وتروح مننا.
خرجت فوجدت والدتي تجلس على سجادة الصلاة في غرفتها جلست أمامها فنظرت إلى بينما تتسارع أنفاسها ثم قالت بنبرة باكية:
ـ خالد أخيرا خرجت من أوضتك!
سحبتني من يدي فوضعت رأسي بين يديها أمسكت يديها ثم طبعت قبلة عليها قائلا:
ـ أنا عندي ليكي مفاجأة بس عاوزك تمسكي نفسك.
ـ مفاجأة إيه؟
ـ أبويا رجع.
ـ انت رجعت تخرف تاني يا بني؟
ـ يا ستي بقولك أبويا موجود معايا في أوضتي.
ـ ربنا يهدي بالك ويصلح حالك يابني فوق لنفسك بقا!
ـ طيب ممكن تيجي معايا؟
نهضت والدتي فأمسكت يدها ثم طرقت باب غرفتي وفتحته ببطء كان والدي مايزال واقفا مكانه نظرت والدتي باتجاهه نظرة طويلة قائلة وهي تضغط على مخارج ألفاظها:

.

- هو فين؟
- إيه اللى فين.
نظرت إلى والدي قائلا:
- أنت مش أبويا و بتشتغلني يا حاج وبعدين يا أمي ما هو شبه الصور بس محتاج يقص شعره ودقنه ويبيض شوية ويبقا زي الفل.
- حرام عليك بقى يابني فوق لنفسك مفيش حد هنا أبوك مات مات!!
شعرت بصداع شديد انتابني فجأة فصرخت:
- بس كفاية، قولتلك رجع أنا جيبته معايا من المملكة الشمالية.
جلست أمي على الأرض تبكي وهي تضع رأسها بين راحتيها. نظرت إلى أبي صارخا:
- اتكلم قول حاجة سايبها تعيط ليه!
ظلت أمي تكرر:
- كفاية، كفاية!
وهى تضمنى إلى صدرها وتقول باكية ... أنا اللى غلطانه إنى وافقت إنك تخرج من المستشفى ....
نظرت باتجاه أبي فلم أجده تسارعت أنفاسي، شعرت برعشة شديدة تبدأ من قلبي وتنتهي عند قدمي سقطت أرضًا وأنا أرى مشاهد تمر أمام عيني، نعمة ملقاة بجانب طريق والدماء تغطى وجهها، زحام شديد، صراخ من هنا وهناك بدأت أهذي بكلمات غير مفهومة تعرق جسدي أمي تقف فوق رأسي تبكي وهي تضمني إلى صدرها ثم بدأ الظلام يحل تدريجيا حتى غبت عن الوعي.
فتحت عيني فوجدتني نائما على سرير حديدي أبيض اللون ووالدتي تجلس أمامي بجانبها أم نعمة ترتدي زيا أسود اللون نزلت مني دمعة

.

سريعة دمعة عادت معها كل ذاكرتي وذكرياتي عادت معها الصورة التي رفضها عقلي ونكرها قلبي طرق الباب ثم دخل رجل يشبه الملك آجات ومن ورائه أوبال كنت قد رأيت هذا المشهد قبل ذلك في أحد أحلامي تقدم إليّ قائلا:

- ازيك يا خالد؟

نظرت باتجاه والدتي ثم عاودت النظر إليه مرة أخرى قائلا:

- انت الملك آجات؟

اقترب مني قليلا ثم قال هامسا:

- إنت تقصد الملك آجات وأوبال وأرسلان وسيلوت؟

- أيوه انت تعرفهم؟

نظر الدكتور إلى والدتي ثم قال:

- من فضلك سيبونا لوحدنا شوية.

خرجت والدتى فتبعتها أم نعمة فجلس الدكتور بجانبي قائلا:

- كل الأشخاص دول مجرد شخصيات في رواية كنت انت بتقرأها وعقلك خيلك إن اللى حواليك هما الأشخاص دي وبدأت تعيش أحداثها يوم بيوم، وفجأة أصريت إنك تخرج من هنا مقدرتش أمنعك لأنك بدأت تتعافى وده كان هيسببلك انتكاسة خالد لازم تتغلب على عقلك حالتك دي محدش هيقدر يعالجها غيرك، كل شيء بيقول إنك بقيت كويس فاضل تقبلك انت لنفسك.

حسنا، أنا خالد أحمد عبد التواب لم أنتهِ بعد من السنة الثالثة لي في كلية الحقوق، مات أبي في حادث سيارة عندما كنت في الرابعة من عمري، ماتت نعمة أيضا في حادث سيارة أمام الجامعة وأمام عيني وهي ماتزال في السنة الأولى لها في كلية الحقوق، ماتوا فمات كل شيء لي في هذا

.

العالم مايزالون أمواتا ولا زلت أنا تائها في صحرائي أجوبها شرقا وغربا أصادق رمالها أجلس بجانب آبارها أرتوي من خيالاتي هروبا من ظمأ واقعي أرتدي قميصي الأزرق وبنطالي البني اللذين كنت أرتديهما عندما مات أبي سمعت أحدهم يقول: (عندما تتحرك متجاوزًا شعورك بالخوف ستشعر بالحرية) التفتُّ إليها فوجدتها تلك الفتاة التي كانت بصحبة الجنود الطيفية تتقدم نحوي وعلى وجهها ابتسامة سرعان ما اختفت قائلة:

- لم تجبني.. لماذا تهتم بشأن من تركوك؟ ربما كانوا مجبرين على فعل ذلك.

- ولماذا لا أكون أنا أيضا مجبرا.

- لازلت على قيد الحياة مادمت كذلك فلن يعيقك شيء عن ممارستها.

- لا أريدها بدونهما.

- ومن أعطاك حق الاختيار، هناك أشخاص لا يزالون يهتمون لشأنك لا تظلمهم.

- لن أستطيع العيش دونهم.

- بلا تستطيع فقط اترك تلك الصحراء وارضَ بما كتب لك تذكرهم دائما بقلبك لا بعقلك صدقني سيفرحون لأجلك سيخبرون أقرانهم بأنك شخص ناجح ساعدهم أيها الغريب هم يمقتون تلك الصحراء ويمقتون وجودك بها اسلك ذاك الاتجاه ستصل للطريق الصحيح إياك أن تنظر خلفك، أرى البقعة السوداء تختفي ستعود يا خالد ستعود هناك من ينتظر عودتك لن تراني بعد ذلك ولن ترى تلك الرمال مرة أخرى هنيئا لك وادعُ لى بأن ألحقك.

.

نهضت من مكاني ثم فتحت باب الغرفة ببطء فوجدت شخصا يشبه سيلوت يقف أمام الباب ويمسك بيده مكنسة ينظف بها طرقة المستشفى فابتسمت له فرد عليّ بابتسامة، أكملت السير حتى جذبت انتباهي فتاة تقف خلف زجاج غرفتها تنظر إليّ بوجهها الشاحب وجسدها الهزيل ترتعش شفتاها فاقتربت منها قائلا:

- سأدعو لكِ بأن تتركي صحرائك كما وعدتك لن يطول الغياب.

** بعد مرور سنتين كنت أقف أمام مكتب الدكتور متولي عتيق دلفت قائلا:

- ازيك يا هند؟

وقفت وكل علامات الاستغراب جالية على وجهها فقلت:

- الدكتور وصل ولا لسه؟

- مين حضرتك؟

- أنا جاي أشتغل ومتقلقيش الدكتور هيقبلني.

- انت بتقول إيه؟

طرقت باب الدكتور ثم دخلت بينما تتبعني هند قائلة:

- مينفعش كدا يا أستاذ!

رفع الدكتور نظره إليّ فلاحقته قائلا:

- ازيك يا دكتور أنا خالد أحمد عبد التواب خريج السنادي ومتابع أخبار حضرتك من زمان.

ونظرت إلى هند قائلا:

- روحي انتي يا هند اعملي للدكتور القهوة السادة بتاعته.

ثم نظرت باتجاه الدكتور.

.

- أنا ليا الشرف إني أكون ضمن موسوعة حضرتك ومستعد أتدرب شهر مع الأستاذ مجدي، صحيح هو لسه عايش؟
لم ينبس الدكتور بكلمة بينما ظل ينظر باتجاهي بملامح جامدة فأتبعت:
- يبقى لسه عايش على بركة الله وعلى فكرة بعد خمس سنين هكون لسه تحت إيد حضرتك لأني مهما كبرت مش هساوي نقطة في بحر علم حضرتك..

تمت بحمد الله
٢٠١٨/١١/١٢

.

جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعاده إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال او تدواله الكترونيا نسخا
او تخزينا دون إذن خطي من الدار